السِّلمُ الاجتماعي

مُقوّماته وحِمَايته

حسن بن موسى الصفار

السِّلْمُ الاجتماعي

مُقَوِّمَاته وحِمَايته

المحتويات

توطئه ٩
المقدمة ١٣
افتتاح ١٧
السلم الاجتماعي: مقوّماته وحمايته ٢١
الأمن والتقدم ٢٧
الرؤية الإسلامية ٣١
السلم الداخلي ٣٣
مقوّمات السلم الاجتماعي ٣٩
السلطة والنظام ٤٠
العدل والمساواة ٤٤
ضمان الحقوق والمصالح المشروعة لفئات المجتمع ٤٧
ثقافة السلم الاجتماعي وأخلاقياته ٥٥
أنموذجان متقابلان ٥٧
سنغافورة ٥٨
رواندا ٦٠

الحصانة والوقاية ٦٣
نشر ثقافة السلم ٦٣
التربية الأخلاقية ٦٧
إصلاح ذات البَيْن ٦٨
تعقيبات ومداخلات ٧١
الدكتور عبد الله الحامد ٧٣
الأستاذ أمير أبو خمسين ٧٤
الأستاذ محمد الصالح ٧٧
الأستاذ سعد العليان ٧٩
الدكتور علي محمد الهاشمي ٨٠
الدكتور عبد العزيز عبد الله الجلال ٨٢
الشيخ حسن الصفار ٨٤
الدعوات التصحيحية ٨٤
الانعتاق من الفرقة المذهبية ٨٦
أسس للاتفاق ٨٩
الدكتور عبد الله الحامد ٩٣
الشيخ حسن فرحان المالكي ٩٥
الدكتور راشد المبارك ١٠٠
الدكتور مختار إبراهيم عجوبه ١٠٥
الأستاذ إبراهيم المطرود ١٠٨

الشيخ حسن الصفار ١١٠
الدكتور عبد الله الحامد ١١٣
الأستاذ عبد الغني الراوي ١١٥
الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك ١١٧
الدكتور عز الدين موسى ١١٩
الدكتور عبد العزيز الهلابي..... ١٢٢
الدكتور راشد المبارك ١٢٤
الشيخ حسن الصفار ١٢٦
الدكتور عبد الله الحامد..... ١٣٠
متابعات صحافية.....١٣١
حسن الصفار متحدثاً عن السلم الاجتماعي:
مقوّماته وحمايته، صحيفة الشرق الأوسط ١٣٣
علي الموسى، صحيفة الوطن ١٣٦
السلم الاجتماعي: الحوار والتقريب بين المذاهب،
د. عبدالعزيز العطيشان، صحيفة الوطن..... ١٤١

توطئه

السلم الاجتماعي وحمايته قضيتان هامتان استأثرتا باهتمام الباحثين قديماً وحديثاً، ذلك أن الاهتمام بهما جزء من الاهتمام بالإسلام نفسه؛ لأن وحدة المسلمين وتضامنهم علامةُ تمسكهم بالإسلام ومبادئه. فرسول الإسلام ﷺ يقول: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». وأعداء الإسلام، قديماً وحديثاً، لم يجدوا لهم منفذاً يكيدون به للإسلام وأهله إلا من خلال تفرُّق المسلمين وتباعُدهم، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصى.

من هنا، كان تصدي فضيلة الشيخ حسن الصفار لهذا الموضوع الهام، إيماناً منه بأهمية وحدة المسلمين وتضافرهم وتعاونهم على البِر والتقوى.

وقد عرفت الشيخ حسن الصفار عالماً واعياً لقضايا أمته وهمومها، حريصاً كلَّ الحرص على ما ينفعها في دينها ودنياها،

وقد أدرك ـ مبكراً ـ أن الانفتاح على الآخرين ومناقشتهم، والاستفادة منهم وإفادتهم، قضية ملحة تخدم كل الأطراف الإسلامية وتقرب بينها. كما أدرك، في الوقت نفسه، أن اقتراب المسلمين بعضهم من البعض الآخر، يقرّب بينهم ويجعلهم أكثر تفهماً لبعضهم بعضاً. هذان، الفهم والوعي لقضايا الإسلام، هما اللذان شجعاه على كتابة هذا البحث القيم الذي وسمه بـ **السلم الاجتماعي: مقوّماته وحمايته**، وقد تحدث فيه عن الرؤية الإسلامية للسلم الاجتماعي، ورؤية القرآن والحديث النبوي في هذه المسألة. كما تحدث عن مقوّمات السلم الاجتماعي، وبيّن كيف أن العدل والمساواة في المعاملة بين أفراد المجتمع من أهم هذه المقوّمات؛ لأنهما يشعران المواطن بأهمية الانتماء الحق إلى وطنه، ويقطعان ـ في الوقت نفسه ـ الطريق على أولئك الأعداء الذين يحاولون التسلل إلى المجتمع المسلم عن طريق بعض الطبقات التي تشعر بالظلم وعدم المساواة في الحقوق والواجبات وقد تحدث بإسهاب، عن التعددية المذهبية في المجتمعات الإسلامية، قديماً وحديثاً، وكيف أن هذه التعددية تصبح قوة للمجتمع إذا أحسن الاستفادة منها، وتدمر المجتمعات إذا عوملت طائفة بغير عدل وبغير حق...

والواقع، أن هذا المبحث، في هذا الوقت بالذات من تاريخ الأمة الإسلامية، هو ما تحتاج إليه هذه الأمة، وهو ما

أدعو جميع المثقفين إلى الحديث عنه ومناقشته والعمل على إخراج هذه الفكرة إلى حيز الواقع. ولعلّ الأيام القادمة تكون خيراً من سابقتها. والله الموفق.

أ.د. محمد بن علي الهرفي

أستاذ في «جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية»

المقدمة

الحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

تلقيتُ دعوة كريمة من الأخ الفاضل الدكتور راشد المبارك (حفظه الله) للتحدث في ندوته الأسبوعية التي تقام مساء كل يوم أحد في مجلسه العامر بالرياض.

هذه الندوة تعتبر من معالم الحركة الثقافية ومن أعرق وأهم الملتقيات المعرفية في بلادنا: المملكة العربية السعودية، حيث مضى على تأسيسها أكثر من تسعة عشر عاماً، استضافت خلالها العديد من العلماء الفضلاء ورجال السياسة والفكر والأدب من شتى أرجاء العالم العربي.

فكان لا بد من أن أستجيب لهذه الدعوة الكريمة لما تتيحهُ لي من فرصة التحدث والحوار مع شريحة مثقفة واعية مهتمة بقضايا الوطن والأمة.

وتوافقت مع الدكتور راشد المبارك (أبي بسام) على أن يكون موضوع الندوة هو (السلم الاجتماعي: مقوّماته وحمايته)، وانعقدت الندوة تحت هذا العنوان بتاريخ ٥ صفر ١٤٢٢هـ الموافق فيه ٢٠٠١\٤\٢٩م. وكان الحضور متميزاً ولافتاً للنظر كماً ونوعاً، حسبما أخبرني بعض المواظبين على ارتياد الندوة.

وقد أضافت التعقيبات والمداخلات التي تفضل بها بعض الإخوة المشاركين، على الندوة جواً من الحيوية والتفاعل.

فكان للندوة صدىً واسعاً على مستوى الوطن، يدل على اهتمام المثقفين وعامة المواطنين بموضوعها، وحرصهم على تأكيد التلاحم الإسلامي الوطني، وتأييدهم لتوجيهات الانفتاح والحوار بين الواعين من أبناء الوطن على اختلاف مناطقهم ومذاهبهم ومشاريعهم، وذلك هو ما يدعو إليه الدين، ويأمر به العقل، وتستلزمه المصلحة العامة، خاصة في هذه الظروف الخطيرة التي تمر بالأمة الإسلامية.

من هذا المنطلق، اقترح بعض الأخوة الأعزاء نشر نص المحاضرة والحوارات والمداخلات التي أعقبتها، وما نشرته الصحافة حولها بعد ذلك. فكان هذا الكتاب المائل بين يدي القارئ العزيز.

أشير إلى أن محدودية وقت إلقاء المحاضرة، جعلتني أتجاوز قراءة بعض الفقرات في نصها المكتوب، لكنها مثبتة

هنا بكاملها، كذلك، فإن المداخلات والتعقيبات قد نقلت من التسجيل الصوتي للندوة، مما استلزم بعض التعديلات البسيطة، للألفاظ العامية أو العبارات المكررة.

ولا يسعني هنا إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير للأخ الفاضل الدكتور راشد المبارك، لإتاحته لي هذه الفرصة الطيبة، متمنياً له وافر الصحة ودوام التوفيق. كما أشكر الإخوة الأعزاء الذين أتحفوني وبقية المستمعين بحواراتهم وتعقيباتهم المفيدة خلال الندوة، وأقدّر ثناءهم وحسن ظنهم، داعياً المولى الكريم أن يجعلني عند حسن ظنهم، وأن يثيبهم خيراً.

وأخيراً، أتقدم بوافر الشكر والامتنان للإخوة الأعزاء العاملين معي في مكتبي، على ما بذلوه من جهد كبير في إعداد هذا الكتاب للطباعة والنشر.

وفق اللّه الجميع للخير والصلاح، والحمد للّه ربّ العالمين.

افتتاح

أحييكم في هذه الندوة المباركة إن شاء الله، وبعون الله وبحمده نفتتح ندوة ذات سمة متميزة. وإن كانت هذه الندوات التي تقام في هذا المنتدى، بعامة، متميزة، إلا أن هذه الندوة أكثر تميزاً، لأنها تطرق وتراً نحتاج إلى الطرق عليه مراراً في هذا الزمن، وفي هذه الفترة بالذات، وهو مسألة التعايش والتعاون بين الناس، وكيف نستطيع أن نضع علاقة بين جماعات وأفراد تكون واسطة لغدٍ أفضل وأكثر إشراقاً.

السلم الاجتماعي موضوع أساسي في حياة الشعوب، والقرآن الكريم لم يركّز مثلما ركّز على شيئين بعد التوحيد هما وحدة الكلمة والنهي عن التفرق. وهذا التركيز نجده كثير الحضور في القرآن الكريم، على التحذير من الكفر، والأمر بالتوحيد، والتحذير من الفرقة، والأمر بالوحدة.

ثم، في تاريخنا الإسلامي، مرت دهور، واختلط نص التنزيل بالتأويل أحياناً، فدبت إلى الأمة عائد الاختلافات،

ووجد النفي، ونفي النفي، والإقصاء، وأصبح هذا طابع الثقافة الأدبية والدينية، بشكل عام، وإن لم يكن له سند من الدين. وعندما نقرأ تراثنا نلاحظ هذه الملحوظات على جميع التيارات القديمة. ونحن اليوم بحاجة إلى مراجعة ما لدينا من آراء وأفكار، وإعادة بنائها على المرجعية الأساسية، التي هي القرآن الكريم، والسنة المطهرة، لنستطيع أن نعيش معاً، وأن نتعاون في سبيل بناء مستقبل أفضل، لتنمية الوحدة الإسلامية، التي هي مطلب إسلامي ينبغي أن يهتم به المسلمون، لا أن نترك هذه الأفكار ليأتي ويذكرنا بها الغرب، وفكر الغرب، وليعطيانا لمحة، أو يذكرانا بما نسينا من تراثنا.

ولعلّ الملاحظ أننا بحاجة إلى الاهتمام أكثر بموضوع السلم الاجتماعي وقضايا أمتنا، لأننا أمة منكوبة في أوطان عديدة، كما يحدث مثلاً في العراق بين الأكراد والعرب، وكما حصل في لبنان أيضاً بين المسيحيين والمسلمين، وفي الصومال، وباكستان بين السنة والشيعة، وفي بلدان عربية وإسلامية كثيرة، بحيث تمنع أن تترابط الشعوب وتتعاون يداً واحدة في البحث عن الإخاء.

نشير هنا إلى أن قضيتنا قضية متميزة والمحاضر أيضاً متميز وهو الأستاذ الشيخ حسن موسى الصفار، الذي له كتابات عديدة، وهو من أهالي المنطقة الشرقية ودرس العلوم الإسلامية في النجف ـ العراق، ومن مؤلفاته: **كيف نقهر**

الخوف، كيف نقاوم الإعلام المضاد، التعددية والحرية في الإسلام... إلخ.

والأمة، لا شك في أنها بحاجة إلى هؤلاء الكتّاب الذين يمثلون ضميرها، وتتوسم فيهم ما يعيد إليها شبابها وحيويتها.

الدكتور عبد الله الحامد (مدير الندوة)[1].

(١) مفكر إسلامي، أستاذ الأدب في (جامعة الإمام محمد بن سعود) سابقاً.

السلم الاجتماعي: مقوّماته وحمايته

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

السلم كلمة واضحة المعنى، تعبّر عن ميل فطري في أعماق كل إنسان، وتحكي رغبة جامحة في أوساط كل مجتمع سوي، وتشكّل غايةً وهدفاً نبيلاً لجميع الأمم والشعوب.

والسلم من السلام، وأصله السلامة أي البراءة والعافية والنجاة من العيوب والآفات والأخطار.

ويطلق السلم بلغاته الثلاث السِّلم والسَّلم والسَّلَم على ما يقابل حالتي الحرب والصراع.

قال ابن منظور: السَّلم والسِّلم: الصُّلح. وتسالموا: تصالحوا. والخيل إذا تسالمت تسايرت لا تهيج بعضها بعضاً.

والتسالم: التصالح. والمسالمة: المصالحة. وحُكي السِّلم

والسَّلم: الاستسلام، وضد الحرب[1].

وكمثال على إطلاق السِّلم كحالة مقابلة للحرب والقتال، يمكن الاستشهاد بقول عباس بن مرداس:

السَّلم تأخذ ما رَضيتَ به
والحرب تكفيك من أنفاسها جُزَع

وتقول العرب: أسِلْم أم حرب، أي أأنت مسالم أم محارب.

قد يكون الحديث عن السِّلْم أو الحرب على صعيد علاقة المجتمع بمجتمعات أخرى، أو يكون على مستوى الوضع الداخلي للمجتمع والعلاقات القائمة بين أجزائه وفئاته.

وحديثنا عن السلم الاجتماعي نقصد به حالة السلم والوئام داخل المجتمع نفسه وفي العلاقة بين شرائحه وقواه.

إن من أهم المقاييس الأساسية لتقويم أي مجتمع تشخيص حالة العلاقات الداخلية فيه، فسلامتها علامة على صحة المجتمع وإمكانية نهوضه، بينما اهتراؤها دلالة سوء وتخلف.

يقول الأستاذ مالك بن نبي:

نستطيع أن نقرر أن شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ١٩١ – ١٩٢ .

ومن أجل ذلك كان أول عمل قام به المجتمع الإسلامي هو الميثاق الذي يربط بين الأنصار والمهاجرين.

ثم يشير ابن نبي إلى أنه كما كانت العلاقات الداخلية السلمية هي نقطة الانطلاق في تاريخ المسلمين، فإن تدهورها كان مؤشر السقوط والانحطاط: «لقد كان المجتمع الإسلامي إبان أفوله غنياً، ولكن شبكة علاقته الاجتماعية قد تمزقت».

وهكذا ظل الأمر دائماً فإذا تطور مجتمع ما على أية صورة، فإن هذا التطور مسجل كماً وكيفاً في شبكة علاقاته، وعندما يرتخي التوتر في خيوط الشبكة، وتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعّالة، فذلك أمارة على أن المجتمع مريض، وأنه ماضٍ إلى نهايته. أما إذا تفككت الشبكة نهائياً، فذلك إيذان بهلاك المجتمع. وحينئذٍ، لا يبقى منه غير ذكرى مدفونة في كتب التاريخ. وقد تحين هذه النهاية والمجتمع متخم بالأشخاص والأفكار والأشياء. كما كانت حال المجتمع الإسلامي في الشرق، في نهاية العصر العباسي، وفي المغرب في نهاية عصر الموحّدين[1].

(١) مالك بن بني، ميلاد مجتمع، ص ٢٥ – ٣٩، دار الإنشاء، طرابلس، الطبعة الثانية ١٩٧٤.

الأمن والتقدُّم

إن تحقُّق السلم الاجتماعي عامل أساسي لتوفير الأمن والاستقرار في المجتمع. وإذا ما فقدت حالة السلم والوئام الداخليين أو ضعفت، فإن النتيجة الطبيعية لذلك هي تدهور الأمن وزعزعة الاستقرار، حيث تسود حالة الخصام والاحتراب، فيسعى كل طرف لإيقاع أكبر قدر ممكن من الأذى والضرر بالطرف الآخر، وتضيع عندها الحدود، وتنتهك الحرمات، وتدمر المصالح العامة. حينها تشعر كل جهة بأنها مهددة في وجودها ومصالحها، فتندفع باتجاه البطش والانتقام وإحراز أكبر مساحة ممكنة من السيطرة والغلبة.

وينطبق على هذه الحالة ما روي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها ظُلِم، ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم»[1].

وفي رحاب السلم الاجتماعي يمكن تحقيق التنمية والتقدم،

(١) الشريف الرضي الموسوي، نهج البلاغة، قصار الحكم، ٢٩٨.

حيث يتجه الناس صوب البناء والإنتاج، وتتركز الاهتمامات نحو المصالح المشتركة، وتتعاضد الجهود والقدرات في خدمة المجتمع والوطن، على عكس ما يحصل في حالة الخصام والاحتراب، وانشغال كل طرف بالآخر، وتغليب المصالح الخاصة الفئوية على المصلحة العامة والمشتركة، وفي مثل هذا الوضع، لا تستحيل فقط التنمية والتقدم، بل يصعب الحفاظ على القدر الموجود والقائم، فيتداعى بناء المجتمع، وينهار كيان الوطن، وتضيع مصالح الدين والأمة.

وأمامنا بعض الأمثلة القريبة المعاصرة كلبنان وأفغانستان والجزائر والصومال.

ففي الجزائر، وهي بلد يتمتع بثروة نفطية ولشعبها تاريخ إسلامي نضالي مشرق ضد الاستعمار الفرنسي في العصر الحديث، بلغت حصيلة العنف إلى ما قبل تطورات هذا العام ١٥٠ ألف قتيل حسب ما أثبته النقيب والمظلي السابق في الجيش الجزائري حبيب سويدية في كتابه الذي صدر أخيراً بعنوان (الحرب القذرة)، عدا عن التدمير العنيف في بنية المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية. وقدرت دراسة رسمية جزائرية عام ١٩٩٨ الخسائر الناجمة عن أعمال العنف خلال السنوات الماضية بأكثر من ١٦ بليون دولار. وأوضحت الدراسة التي وضعها (الاتحاد العام للعمال الجزائريين) أن

أعمال التدمير شملت منشآت اقتصادية ومؤسسات تعليمية ووحدات إنتاج ووسائل نقل ومراكز اتصالات سلكية ولاسلكية، بالإضافة إلى حرق ١٥٠٠ شاحنة و ٣٥٠ باصاً و ٨٠ باصاً صغيراً و ٧٠٠ سيارة، وتحطيم ٥٥٠ آلية أشغال عمومية و ٢٢ قطاراً و ٢٣١ قاطرة. وعلى صعيد المؤسسات التربوية قدرت الدراسة عدد الفصول التي أحرقت ب ٩٣٠ في مدارس مختلفة، وثمانية معاهد للبحوث و ١٠٢٠ مركزاً إدارياً و ١٦ مركزاً للتدريب المهني و ٣ مراكز جامعية، بالإضافة إلى آلاف المنازل. وفي القطاع الاقتصادي كشفت الدراسة أن ٦٣٠ منشأة ومؤسسة عمومية تعرضت لتدمير كلي أو جزئي بما فيها مباني الخدمات العامة خصوصاً الأسواق التجارية ومكاتب البلديات[١].

وفي أفغانستان، تركت الحرب بين الفصائل المتصارعة نحو نصف مليون قتيل، كما أجهزت على ما تبقى من البنية التحتية لأفغانستان.

وفي الصومال، أدت عمليات الاقتتال بين الميليشيات المتحاربة إلى مقتل أكثر من مئة ألف إنسان وإلى إصابة الحياة بالشلل وإلى تهجير الآلاف من المدنيين وتشريدهم، معظمهم من النساء والأطفال.

لقد تحولت الصومال إلى محرقة للبشر، وجرى تدمير المدن

(١) الحياة، العدد ١٢٧٣٥، ١٣ كانون الثاني\ يناير ١٩٩٨ – ١٥ رمضان ١٤١٨هـ.

ومظاهر الحياة المدنية بصورة منتظمة. ويقدر أن أكثر من نصف مليون شخص قد ماتوا نتيجة الجوع أو انهيار الخدمات الصحية. وبعد أن كان نصيب الفرد من الناتج القومي في الصومال ما يصل إلى ٢٩٠ دولاراً في النصف الثاني من الثمانينات، انحدر في سنوات الحرب إلى ٣٧ دولاراً فقط، حسب تقدير منظمات دولية.

وفي لبنان، أودت الحرب الأهلية التي استعر أوارها سنة ١٩٧٦ واستمرت أكثر من ١٣ سنة، إلى مقتل ٣٥٠ ألف إنسان وإلى تشريد ٧٥٠ ألفاً وإصابة ١٢٠ ألفاً بإعاقات مختلفة، وتسببت بفقد نحو ٣٠ ألفاً.

ونلحظ اختلاف الأوضاع والظروف في البلدان التي ابتليت بفقدان السلم الاجتماعي والوقوع في فخ الاحتراب والتناحر. فهناك بلد فقير وآخر غني، وبلد آسيوي وآخر أفريقي، وبلد تتنوع في الأعراق، وآخر ينتمي مواطنوه إلى عرق واحد وقومية واحدة، وبلد تتعدد فيه الأديان والمذاهب وآخر يسوده دين واحد ومذهب واحد... وهكذا، مما يعني أن الخطر قد يدهم أي مجتمع لا يمتلك المناعة الكافية، ولا يتسلح بقوة السلم الاجتماعي المتين.

الرؤية الإسلامية

جاء الإسلام دعوة للسلم والسلام على مستوى العالم أجمع والبشرية جمعاء ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ﴾[1].

وقد تكرر الحديث عن السلم والسلام في أكثر من خمسين آية في القرآن الكريم. يقول تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾[2].

ويقرر القرآن الكريم أن المبدأ الأساس في العلاقات بين البشر هو مبدأ السلم والتعاون. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3].

كما يوجه الإسلام الأمة المسلمة إلى إنشاء العلاقات السلمية القائمة على البرِّ والقسط والإحسان مع الأمم الأخرى،

---

(١) سورة يونس، الآية ٢٥.
(٢) سورة المائدة، الآية ١٦.
(٣) سورة الحجرات، الآية ١٣.

أما المواجهة فهي محصورة في حدود من يمارس العدوان ضد الإسلام والمسلمين، أو يمنع حركة الدعوة إلى الله تعالى. يقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(١).

ويقول تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٢).

وحتى لو نشبت الحرب والمعركة مع المعادين المعتدين، فإن الإسلام يشجع على اغتنام أي فرصة لإيقاف الحرب والقتال إذا ما أظهر الطرف الآخر إرادته في التراجع عن عدوانه والرغبة في إقامة علاقات سلمية. يقول تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(٣).

ويقول تعالى: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ (٤).

ويقول الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: «ولا تدفن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك»(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ٨ .

(٣) سورة الأنفال الآية ٦١.

(٤) سورة النساء الآية ٩٠.

(٥) الشريف الرضي الموسوي، نهج البلاغة، كتاب ٥٣ .

السلم الداخلي

إذا كانت هذه دعوة الإسلام على المستوى العالمي وفي العلاقة بين الأمة وسواها، فمن الطبيعي أن تكون أكثر تأكيداً وإلحاحاً على الصعيد الداخلي.

لذلك، تناولت العديد من آيات القرآن الكريم وتشريعات الإسلام قضية الوحدة والوئام والسلم ضمن الكيان الإسلامي.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّـةً وَاحِـدَةً وَأَنَـا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[2].

وفي إشارة واضحة إلى الآثار التدميرية للنزاع الداخلي يقول

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٢ .
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

فنتيجةُ النزاع الفشل وانهيار القوة.

أما الآية الكريمة رقم ٢٠٨ من سورة البقرة، فهي أمر واضح ودعوة صريحة للالتزام بالسلم الاجتماعي، وتقرير له كشعار للمجتمع، وتحذير من الانزلاق عن مساره. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[2].

وبرغم أن أكثر المفسرين قالوا إن المقصود من السلم في الآية الكريمة هو الإسلام والطاعة لله، إلا أن بعض المفسرين رجّح أن يكون المقصود هو السلم بمعناه اللغوي أي الصلح والمسالمة وترك النزاع والاحتراب داخل المجتمع. وهو الرأي الراجع بالفعل.

ونقتطف من كلام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في **تفسير التحرير والتنوير**، حول هذه الآية الكريمة، الفقرات التالية:

حقيقة السلم الصلح وترك الحرب:

وقالوا يطلق السلم بلغاته الثلاث: (السِّلْم، السَّلْم، السَّلَم)

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٦.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٨.

على دين الإسلام، ونُسب إلى ابن عباس ومجاهد قتادة، وأنشدوا قول امرئ القيس بن عباس الكندي في قضية ردة قومه:

دعـــــوتُ عشيرتي للسَّلم لمّا
رأيــتــهــمُ تــولّـــــــوا مـدبـريـنـا

فـلـســـتُ مـبـــــــدّلاً بـالـلـه ربـاً
ولا مـســتـبـدلاً بـالـسَّـلـم دينـا

وهذا الإطلاق انفرد بذكره أصحاب التفسير ولم يذكره الراغب في **مفردات القرآن** ولا الزمخشري في **الأساس** وصاحب **لسان العرب**. وذكره القاموس تبعاً للمفسرين، وذكره الزمخشري في **الكشاف** حكاية قول في تفسير السِّلم هنا فهو إطلاق غير موثوق بثبوته، وبيت الكندي يحتمل معنى المسالمة أي المسالمة للمسلمين ويكون قوله «دينا» بمعنى العادة اللازمة كما قال المُثَقِّب العبدي يذكر ناقته:

تـقـول وقـد درأت لها وضيني
أهـــــــذا ديـنـه أبـــداً وديـنـي

والوضين: بطان منسوج بعضه على بعض يُشَدّ به الرحل على البعير، أراد أنه سريع الحركة.

فكون السِّلم من أسماء الصلح لا خوف فيه بين أئمة اللغة، فهو مراد من الآية لا محالة. وكونه يطلق على الإسلام إذا صح

ذلك جاز أن يكون مراداً أيضاً ويكون من استعمال المشترك في معنييه.

ويجوز أن يكون المراد من السلم هنا المعنى الحقيقي ويراد السلم بين المسلمين، يأمرهم الله تعالى بعد أن اتصفوا بالإيمان بألا يكونوا بعضهم حرباً لبعض كما كانوا عليه في الجاهلية[1].

وممن رجّح هذا الرأي الشيخ محمد جواد مغنيّة من علماء الإمامية.

قال في **التفسير الكاشف**: قيل المراد بالسلم هنا الإسلام، وقيل: معنى السلم الصلح، والمعنى ادخلوا في الصلح جميعاً. والذي نراه أن الله سبحانه وتعالى أمر من يؤمن به إيماناً صحيحاً بأن يدخل في ما فيه سلامته في الدنيا والآخرة. وطريق السلامة معلوم لدى الجميع، وهو التعاون والتآلف، وترك الحروب والخصام. ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بعد قوله بلا فاصل: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾، حيث اعتبر الله سبحانه خطوات الشيطان الطريق المضاد للسلم. ووضع الإنسان أمام أمرين لا ثالث لهما: إما الدخول في السَّلْم، وإما اتّباع خطوات الشيطان التي هي عين الشقاق والنزاع والشر والفساد[2].

(١) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنويم، ج ٢، ص ١٧٥ – ٢٧٦ .
(٢) محمد جواد مغنية، الكاشف، ج ١، ص ٣١١.

وأخيراً، فإن صفاء أجواء المجتمع من العداوات والصراعات، يجعله مهيّأ للتعاون والانطلاق، ويحفظ قوته من الهدر والضياع. لذلك، كان من الطبيعي أن تسعى القوى المناوئة لأي مجتمع من أجل تمزيق وحدته وإثارة العداوات بين فئاته. يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾[1].

(١) سورة المائدة، الآية ٩١.

مقوّمات السلم الاجتماعي

لا يناقش أحد في أهمية السلم الاجتماعي وضرورته. ولو أجري استبيان أو استفتاء عام في أي مجتمع بشري، لما صوّت أحد لصالح الاحتراب والنزاع الداخلي.

لكن السلم الاجتماعي له مقوّمات وأركان لا يتحقق إلا بتوفرها، وللفتن والصراعات أسباب وعوامل لا تُدرأ إلا بتجنُّبها.

فالمسألة ليست في حدود الرغبة والشعار، أو في وجود القناعة النظرية، بل ترتبط بواقع حياة المجتمع، وشكل العلاقات الحاكمة بين قواه وفئاته.

ولعلّ من أهم مقوّمات السلم الاجتماعي الأمور التالية:

- السلطة والنظام.
- العدل والمساواة.
- ضمان الحقوق والمصالح المشروعة لفئات المجتمع.

وسوف نشرح في ما يلي، كلاً من هذه المقوّمات، ودوره وحدوده.

السلطة والنظام

لا يستغني أي مجتمع بشري عن سلطة حاكمة ونظام سائد، يتحمل إدارة شؤون المجتمع، وتعمل القوى المختلفة تحت سقف هيبته. وإلا لكان البديل هو الفوضى، وتصارع القوى والإرادات.

جاء في **لسان العرب**: قوم فوضى: مختلطون، وقيل: هم الذين لا أمير لهم ولا من يجمعهم.

قال الأَفْوَهُ الأَوْدي:

لا يَصلُح القوم فوضَى لا سَراة لـهم
ولا سـراة إذا جُهالهم سـادوا[1]

وأورد الآمدي التميمي في **غرر الحكم ودرر الكلم** عن الإمام علي عليه السلام قوله: «وآلٍ ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم»[2].

أي إذا كان أمام المجتمع خياران: حاكم ظالم أو تمزق وحرب أهلية، وبالطبع كلاهما خيار سيئ، لكن الأول أقل ضرراً

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١١٤٤.
(٢) عبد الواحد الآمدي التميمي، غرر الحكم، حرف الواو، ٥٠.

من الثاني.

ولما سمع الإمام علي عليه السلام قول الخوارج «لا حُكم إلا لله»، قال: «كلمة حق يراد بها باطل! نعم، إنه لا حُكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله، وإنه لا بد للناس من أمير برٍّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويُبلّغُ فيها الأجل، ويُمَعُ به الفيءُ، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخَذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح برٌّ ويستراح من فاجر»[1].

ونقل هذا النص عن الإمام علي عليه السلام، المتقي الهندي في **كنز العمال**، ص ٧٥١، من الجزء ٥، حيث رقم ١٤٢٨٦، مع اختلاف يسير في بعض الالفاظ. وأورده الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة في **الكتاب المصنف**، ص ٣١٥، ج ١٥، حديث رقم ١٩٧٥٣.

لقد كان من سمات حياة العرب في الجزيرة العربية قبل الإسلام، غياب السلطة المركزية، حيث كانوا يعيشون وضعاً قبلياً تسوده النزاعات، وتكثر فيه الحروب، ولا يخضع لنظام أو قانون، بل لبعض التقاليد والأعراف التي لا تصمد أمام نوازع الشر، وغرور القوة.

وبسبب ذلك، لم يكن لهم كيان ولا شأن بين الأمم. وحينما جاء الإسلام استوعب تلك القبائل المتناحرة، ووحدها تحت

(١) الشريف الرضي الموسوي، نهج البلاغة، كلام رقم ٤٠.

لوائه، وصنع منها أمة متماسكة لم تلبث أن اتخذت بأزمة قيادة العالم.

يقول تعالى مذكرّاً بهذا الانجاز الإيماني العظيم: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[1].

ولمواجهة آثار حياة الجاهلية السابقة للإسلام ورواسبها، أكدت تعاليم الدين وتشريعاته على أهمية النظام والقيادة في المجتمع، وعلى ألا يعيش الإنسان خارج هذا الإطار. جاء في **صحيح مسلم** عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية»[2].

وورد مثله في **أصول الكافي** عن الفضيل بن يسار قال: ابتدأنا أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام يوماً وقال: قال رسول الله ﷺ: من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة الجاهلية. قلت: قال ذلك رسول الله ﷺ؟ فقال: إي والله قد قال: قلت: فكل من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية؟ قال: نعم[3].

ولعلّ في الحديث إشارة إلى أن عدم وجود نظام حكم وسلطة مركزية، هو سمة من سمات المجتمع الجاهلي قبل الإسلام. فمن

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.
(٢) مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، حديث ٥٨ .
(٣) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٧٦ .

تبنّى هذا التوجه فهو يشكل امتداداً للوضع الجاهلي.

من هنا، اتفق علماء المسلمين، إلا من شذّ منهم، على أن الإمامة في الأمة أمر واجب، وهو مذهب السُّنة جميعاً، ومذهب الشيعة جميعاً، ومذهب المرجئة جميعاً، ومذهب الكثرة الغالبة من الخوارج، والكثرة الغالبة من المعتزلة... وإن اختلفوا في مصدر الوجوب: هل هو العقل أو الشرع؟

قال الماوردي (توفي ٤٥٠هـ) في **الأحكام السلطانية**:

واختُلف في وجوبها هل وجبت بالعقل أو بالشرع؟ فقالت طائفة: وجبت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم، ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم، ولولا الولاة لكانوا فوضى مهملين، وهمجاً مضاعين... وقالت طائفة أخرى: بل وجبت بالشرع دون العقل، لأن الإمام يقوم بأمور شرعية...[١]

والمشهور عند أهل السُّنة أن وجوب الإمامة بالشرع من دون العقل، بينما يرى الشيعة وجوبها بحكم العقل.

كما يربّي الإسلام أبناءه على النظام حتى في تجمعاتهم الصغيرة، فقد جاء في **سنن أبي داود** عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم»،

(١) علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٥ .

ومثله عن أبي هريرة[1].

وعلى الصعيد العائلي، جعل الإسلام قيادة العائلة بيد الزوج تأكيداً لمنهجيته في النظام والقيادة.

ومن واقع التجربة، رأينا كيف عانت الشعوب التي افتقدت سلطة الدولة، وأصبحت نهباً لمطامع الميليشيات والأحزاب والمتصارعة على السلطة والحكم، كما حدث في لبنان والصومال وأفغانستان.

فلا يمكن الحديث عن سلم اجتماعي في حال غياب الدولة، بل سوف تعم حينها الفتنة والاضطراب والدمار.

العدل والمساواة

المجتمع الذي يتساوى الناس فيه أمام القانون، وينال كل ذي حق حقه، من دون تمييز فيه لفئة على أخرى، هذا المجتمع تقل فيه دوافع العدوان، وأسباب الخصومة والنزاع. أما اذا ضعف سلطان العدالة، وحدثت ممارسات الظلم والجَور، وعانى البعض الحرمان والتمييز، وأتيحت الفرصة لاستقواء طرف على آخر بغير حق، فهنا لا يمكن توفر السلم الاجتماعي، حتى ولو بدت أمور المجتمع هادئة مستقرة، فإنه استقرار كاذب، وهدوء زائف، لا يلبثان أن ينكشفا عن فتن واضطرابات مدمرة. من هنا،

(١) الحافظ أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، حديث رقم ٢٦٠٨.

جاء تأكيد الإسلام على ضرورة العدل وأهميته في حياة البشر، واعتبره هدفاً أساسياً لبعثة الأنبياء وإنزال الشرائع الإلهية. يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1]. والقِسط هو العدل. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

ويصوّر لنا الحديث الذي أورده البخاري في (صحيحه) تحت رقم ٢٥٨٧، مدى اهتمام الرسول ﷺ بتربية أصحابه على التزام العدل والمساواة بين أولادهم، حتى لا يكون التمييز بين الأبناء سبباً للعداوة والضغائن في ما بينهم.

يقول الحديث الذي رواه حصين عن عامر قال:

سمعت النُّعمان بن بشير رضي الله عنه وهو على المنبر يقول: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فامرتني أن أُشهدك يا رسول الله، قال ﷺ: «أعطيت سائل وَلَدك مثل هذا»، قال لا، قال ﷺ: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم».

قال فرجع ورد عطيته. وجاء في طرف آخر من الحديث نفسه

(١) سورة الحديد، الآية ٢٥.
(٢) سورة النحل، الآية ٩٠.

تحت رقم ٢٦٥٠ في **صحيح البخاري** أنه ﷺ قال: «لا تُشهدْني على جور».

ونظر رسول الله ﷺ إلى رجل له ابنان فقبّل أحدهما وترك الآخر، فقال له النبي ﷺ: فهلاّ واسيت بينهما[١].

فالمجتمع عائلة كبيرة. وعدم المساواة بين أبنائه، وتمييز بعضهم على البعض الآخر، جَور يزرع الضغائن والأحقاد، ويعضف حالة المودة والإخاء. فالطرف الذي يحظى بالامتيازات يحظى بالحصانة والعلوّ تجاه سائر الأطراف، مما قد يدفعه للطغيان والعدوان. كما أن الطرف الذي يقع عليه التمييز يشعر بالغبن والاضطهاد، فيضعف ولاؤه لمجتمعه ووطنه، ويتحيّن الفرصة للانتقام وإعادة الاعتبار. وقد يفتش عن جهات داخلية أو خارجية يستقوي بها، مما يخلق ثغرة في أمن المجتمع والوطن، تنفذ منها مؤامرات الأعداء ودسائسهم.

يقول الإمام علي عليه السلام مخاطباً أحد ولاته: «استعمل العدل واحذر العسف والحيف، فإن العسف يعود بالجلاء، والحيف يدعو إلى السيف»[٢].

وهكذا، فإن العدل يقي المجتمع أخطار التمزق والفتن.

---

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢١، ص ٤٨٧، الطبعة الأولى ١٩٩٣، حديث رقم ٢٧٦٦، مؤسسة آل البيت، بيروت.

(٢) الشريف الرضي الموسوي، نهج البلاغة، قصار الحكم ٤٧٦.

وجميل جداً ما رواه المجلسي في **بحار الأنوار** في الجزء ٧٤، الصفحة ١٦٥، منسوباً إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «لعدل جنة واقية وجنة باقية». فالعدل في الدنيا وقاية من الأخطار، وفي الآخرة نعيم وثواب في جنان الخُلّد.

ضمان الحقوق والمصالح المشروعة لفئات المجتمع

إذا كان المجتمع يعيش نوعاً من التنوع والتعدد، في انتماءاته العرقية أو الدينية أو المذهبية، أو ما شاكل ذلك من التصنيفات، فيجب أن يشعر الجميع، وخاصة الأقليات، بضمان حقوقه ومصالحه المشروعة، في ظل النظام والقانون، من خلال التعامل الاجتماعي.

وهذا، وإن كان متفرّعاً من موضوع العدالة والمساواة، لكن أهميته تقتضي التركيز عليه. فعلماء الاجتماع يصنّفون المجتمعات من حيث درجة تنوعها وانسجامها إلى ثلاثة أصناف:

المجتمع المتجانس:

لا يوجد في العالم مجتمع واحد متجانس كلياً، وبشكل مطلق. وإنما يقصدون بالتجانس في المجتمعات، التجانس النسبي وليس المطلق، وهذا يعني المجتمع الذي يكون من جماعة واحدة منصهرة اجتماعياً وثقافياً، فتتوحد الهوية الخاصة والعامة في هوية واحدة جامعة، وتسود في هذا المجتمع عملية الانصهار.

المجتمع الفسيفسائي:

هو المجتمع الذي يتألف من عدة جماعات تغلب هويتها الخاصة على الهوية العامة، وتتصف العلاقات فيما بينها بالتراوح بين عمليتي التعايش والنزاع وعدم الاتفاق على الأسس.

المجتمع التعددي:

وهو الذي يتشكّل من عدّة جماعات تحتفظ بهويتها الخاصة، إلا أنها تمكنت من إيجاد صيغة تؤالف بين الهوية الخاصة والهوية العامة، لكنها قد تتعرّض لهزات بسبب تدخل خارجي أو تسلط لجهة داخلية على حساب أخرى.

فمع وجود التنوع والتعدد في المجتمع، لا بدّ من ضمان الحقوق والمصالح المشروعة للجميع، ليعيش الجميع في إطار المصلحة المشتركة، وفي بوتقة الوطن الواحد.

ومبادئ الإسلام وشرائعه العظيمة تقدم النموذج الأرقى للتعايش بين الناس على اختلاف هوياتهم وانتماءاتهم، على أساس العدل والمساواة، وضمان الحقوق والمصالح المشروعة للجميع.

ففي السنة الأولى لتأسيس المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة، وضع الرسول ﷺ ما عرف بصحيفة المدينة التي ذكرتها كتب السيرة النبوية الشريفة وأشار إليها الشيخ محمد بن عبد

الوهاب في **مختصر سيرة الرسول**، ص ١٠٠، طبعة (مؤسسة دار الكتاب السعود) في الرياض.

وقد تضمنت هذه الصحيفة الاعتراف بمواطنة غير المسلمين وعضويتهم في تكوين المجتمع الجديد، وحددت الواجبات التي عليهم والحقوق التي لهم، شأنهم في ذلك شأن المواطنين المسلمين.

تقول إحدى فقرات تلك الصحيفة التي أملاها الرسول ﷺ وأمضاها: «أن يهود بني عوف أمة من المؤمنين: لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم...».

وفي فقرة أخرى:

> وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

ويمكن مراجعة ما ورد في **السيرة النبوية** لابن هشام، وشبيه لها ما كتبه الرسول ﷺ لنصارى نجران:

إن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير، من بيعهم

وصلواتهم، ورهبانيتهم، وجوار الله ورسوله. لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يغيّر حق من حقوقهم ولا سلطانهم، ولا شيء مما كانوا عليه. على ذلك جوار الله ورسوله أبداً ما نصحوا واصطلحوا في ما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين.

ويكفي ما روي عن الرسول ﷺ أنه قال: «من آذى ذميًّا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله» (الطبراني، **الأوسط**، إسناد حسن).

وفي حديث آخر: «من ظلم معاهداً، أو انتقصه حقاً، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة» (رواه أبو داود والبيهقي).

هكذا، يرعى الإسلام حقوق ومصالح من ينتمي إلى دين آخر، ويعيش في كنف المجتمع الإسلامي.

أما عن العامل مع فئة من المسلمين لها مذهب أو مسلك مخالف، ففي سيرة الإمام علي عليه السلام مثل إنساني حضاري رائع، حيث كان حريصاً على حماية حقوق مناوئيه من الخوارج ومصالحهم، مع ما اظهروه من معتقدات مخالفة لما عليه جمهور الأمة، كاعتبارهم مرتكبي كبائر الذنوب كفاراً، مخلّدين في نار جهنم، وكتكفيرهم بعض الصحابة كعثمان وعلي وطلحة والزبير، وأصحاب الجمل، والحكمين ومن رضي بحكمهما، وكاستحلالهم دماء المسلمين وأموالهم إلا من خرج معهم، ومع

ما ورد من أحاديث عن رسول الله ﷺ في ذمهم وأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. لكن الإمام علياً، وهو الخليفة الحاكم، نهى أصحابه أن يسطوا على الخوارج حتى يحدثوا حدثاً، كما في **مصنف ابن أبي شيبة**، صفحة ٣٠٨، ج ١٥، حديث رقم ١٩٧٣٩.

وجاء تحت رقم ١٩٧٦٢ عن عبد الله بن الحارث عن رجل نم بني نضر بن معاوية، قال:

كنا عند علي فذكروا أهل النهر فسبّهم رجل فقال علي: لا تسبوهم، ولكن إن خرجوا على إمام عادل فقاتلوهم، وإن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلوهم، فإن لهم بذلك مقالاً».

وجاء تحت رقم ١٩٧٧٦ عن كثير بن نمر قال:

بينا أنا في الجمعة وعلي بن أبي طالب على المنبر، إذ جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا من نواحي المسجد يحكمون الله فأشار عليهم بيده: اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يبتغى بها باطل، حكم الله ينتظر فيكم، إلا أن لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا، لن نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا نمنعكم فيئاً ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلوا. ثم أخذ في خطبته.

وجاء تحت رقم ١٩٧٨٨ عن طارق بن شهاب قال:

كنت عند علي، فسئل عن أهل النهر أهم مشركون؟ قال: من الشرك فروا. قيل: فمنافقون هم؟ قال: عن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل له: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا.

وينقل الإمام الشيرازي أنه:

لما ظهر الخوارج وأخذوا ينتقصون الإمام ويكفرونه ويقولون: لا حكم إلا لله، لم يتعرض لهم الغمام بسوء، بل كان (كما في رواية) يُجري عليهم أعطياتهم من بيت المال. وقد أراد أصحاب الإمام قتال هؤلاء بادئ الأمر، ولكن الإمام أبى عليهم ذلك، وأنكره وقال: إن سكتوا تركناهم، وإن تكلموا حاججناهم، وإن أفسدوا قتلناهم.

فقوله: إن تكلموا حاججناهم، يعني أن الأمر بحاجة إلى المحاججة، فما دام لا عدوان على نحو الإجرام منهم فهم وشأنهم[1].

هكذا، يضمن الإمام علي عليه السلام، وهو الحاكم الشرعي، لفئة مخالفة فكرياً، ومناوئة سياسياً، حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فالفرصة متاحة أمامها لعرض آرائها، والمساجد

(١) السيد محمد الحسيني الشيرازي، السبيل إلى إنهاض المسلمين، ص ٣٤٩، الطبعة السابعة ١٩٩٤، مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت.

مفتوحة لها كسائر فئات المسلمين، وحصتها من عطاء بيت المال مضمونة.

وسياسة علي عليه السلام هذه تكشف عن هدي الإسلام، وإنسانية تعاليمه، وعدالة تشريعاته. ولا شك في حجية سيرة الإمام علي، فهو عند الشيعة إمام معصوم، وعند أهل السنة رابع الخلفاء الراشدين.

كما تكشف هذه المواقف عن عظمة نفس الإمام علي وسيطرته الكاملة على عواطفه وانفعالاته، وإلا فأي حاكم في مكانه غالباً ما يندفع للانتقام من المناوئين الصلفين، وخاصة في مثل انحراف الخوارج وطيشهم.

بهذه المقوّمات، يتجذر السِّلْم في المجتمع، وتوصد أبواب الفتن والنزاع، وإذا حصلت بادرة من بوادر الشر أمكن تطويقها ومحاصرتها، وهب الجميع لمقاومتها.

ثقافة السلم الاجتماعي وأخلاقياته

لماذا تنعم بعض الشعوب بالاستقرار والسلم الاجتماعي، وتتجه لبناء أوطانها وصنع تقدمها، بينما تعاني شعوب أخرى أهوال الاحتراب الداخلي، ومرارة الفتن والصراعات، لتكرّس بذلك ضعفها وتخلفها، وسوء واقعها المعيش؟

هل يحصل ذلك اعتباطاً ؟ وبمحض الصدفة والاتفاق؟ أم أن هناك أسباباً وعوامل تلعب دورها في توجيه حركة أي مجتمع نحو السلم والتعاون أو النزاع والشقاق؟

بالطبع، لا مجال للصدفة والعبث في هذا الكون القائم على النظام والدقة، من قبل الخالق الحكيم، سواء على صعيد التكوين والخلق حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1]، أو على مستوى الحركة الإنسانية الاجتماعية، إذ يقول تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[2].

(١) سورة القمر، الآية ٤٩.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٦٢.

أنموذجان متقابلان

لو درسنا تجربة أي مجتمع مستقر منسجم في داخله، وأي مجتمع مضطرب متمزق، لوجدنا أن هناك صفات وسمات متقابلة بين هذين النوعين من المجتمعات، ففي النوع الأول تتوفر مقوّمات السلم والوئام، من سلطة مركزية، وعدالة حاكمة، واحترام لحقوق القوى والفئات المختلفة ومصالحها، إضافة إلى العوامل المساعدة على حماية وضعي السلم والاستقرار، والمضادة لأي محاولات لنسفهما أو تخريبهما. بينما في النوع الثاني من المجتمعات، تنعدم أو تضعف تلك المقوّمات، ولا تتوفر الحصانة والمناعة ضد أخطار الفتن والصراعات، مما يعطي الفرصة لأي جرثومة أو ميكروب وبائل للتمكن من جسم المجتمع وإنهاكه.

لنتأمل الآن تجربتين حاضرتين في واقعنا المعاصر، تمثلان أنموذجَين متقابلين:

سنغافورة

تتعدد في دولة سنغافورة الأعراق، حيث تتكون من أربع مجموعات عرقية: صينيين ٧٥٪، ماليزيين ١٥٪، هنود – باكستانيين ٧٪، وأوروبيين ٢٪. كما تتعدد فيها الديانات إلى ست ديانات هي: البوذية والطاوية والكونفوشية ٥٤٪ن الإسلام ١٨٪، المسيحية ١٣٪، الهندوسية ٤٪. وتتعدد فيها أيضا الأحزاب السياسية حيث تصل إلى عشرين حزباً مسجلاً رسمياً.

ومع هذه التعددية، تعيش سنغافورة استقراراً داخلياً، ووئاماً وانسجاماً بين هذه الأعراق والديانات، وينشط المجتمع في صنع تجربتهم الوطنية المتقدمة، وبناء واقعهم الاقتصادي المتطور. حيث يصل معدل دخل الفرد من إجمالي الناتج الوطني إلى اكثر من ١٧٥٩٨ دولاراً وهو من أعلى المعدلات في آسيا، كما يتمتع شعبها بمستوى عالٍ في مجال الخدمات الصحية والتعليمية والإسكان والمواصلات، وبمستوى مرتفع من المعيشة والرعاية الاجتماعية. ويقدر متوسط العمر التقريبي للمواطنين ب ٧٥ سنة.

ويتميز اقتصاد سنغافورة بدرجة عالية من التطور والتنوع، فهي مركز مالي وتجاري مهم، إضافة إلى استقطابها السياحي وإنتاجها الصناعي مع قلة مواردها الطبيعية. وبرغم محدودية أراضيها المخصصة للزراعة، والتي تساوي ٢٪ فقط من مساحتها، إلا أن كثيراً من الفلاحين يستخدمون الطرق التقنية المتقدمة، مثل

الزراعة المائية، وهي زراعة النباتات في محاليل كيميائية من دون تربة. وذلك لزيادة الإنتاج الغذائي. ويعدّ ميناء سنغافورة الأكثر ازدحاماً في العالم من حيث الحمولة الطنّية.

إن تعددية الأعراق واللغات والديانات والأحزاب، لم تتسبب في حدوث اضطرابات ولا نزاعات، ولم تعرقل نمو البلد وتقدمه، بل على العكس من ذلك كانت مصدر إثراء ومبعث اعتزاز لدى الحكومة والشعب على سواء، حيث تعترف الحكومة بأربع لغات رسمية هي لغات تلك المجموعات العرقية التي يتشكل منها الشعب: الصينية والإنكليزية والماليزية والتاميلية. وتصدر الصحف اليومية باللغات الأربع، وتبث برامج الإذاعة والتلفاز بأربع لغات أيضاً.

ومن الناحية الدينية، الفرصة متاحة للتعبير الحر، عن المعتقدات والعبادات للديانات الست. وقد حظي الإسلام بمجلس خاص مفوَّض بقانون برلماني هو المجلس الإسلامي السنغافوري، ويتولى الإشراف على شؤون المسلمين الدينية، وهناك حوالي ثمانين مسجداً في مختلف أنحاء سنغافورة. وللمسيحيين كنائسهم، ولسائر الديانات معابدها ومؤسساتها. والمشاركة السياسية مؤمَّنة للجميع على اختلاف اعراقهم ولغاتهم وأديانهم وأحزابهم. فرئيس الجمهورية وأعضاء البرلمان

ينتخبون من قبل الشعب مباشرة[1]. وهكذا يتساوى الجميع من أبناء الأكثرية والأقلية في حقوقهم وواجباتهم، مما يعمق عندهم الشعور بالانتماء الوطني، ويدفعهم إلى التلاحم في ما بينهم، لانعدام مبررات الاستعلاء أو الشعور بالغبن والاضطهاد.

رواندا

وعلى الطرف النقيض من تجربة سنغافورة، تأتي حالة راوندا، هذا القطر الأفريقي الذي تبلغ مساحته أضعاف مساحة سنغافورة حيث تقدر بـ ٢٦٣٣٨ كلم مربع بينما لا تزيد مساحة سنغافورة على ٦٣٣ كلم مربع. كما أن عدد سكان رواندا سبعة ملايين نسمة، وهو أكثر من ضعف عدد سكان سنغافورة، الذي يقل عن ثلاثة ملايين نسمة.

وخلافاً لسنغافورة، فإن رواندا تتمتع بثروات طبيعية من المعادن والبترول والغاز الطبيعي والذهب الخام والفحم، وفيها غابات ضخمة توفر الخشب المنشور وأخشاب الصناعة وحطب الوقود، وثروة حيوانية كبيرة، كما تتنوع فيها المعالم الطبيعية، فهناك المرتفعات ذات الفوهات البركانية، والأودية المتعرجة، والبحيرات ذات المناظر الخلابة، فضلاً عن السهول الممتدة

(١) الموسوعة العربية العالمية، ج ١٣، ص ١٤٢ – ١٥٣، الطبعة الثانية ١٩٩٩، مكتب الآفاق المتحدة : المعلومات ١٩٩٧ – ١٩٩٨، ص ٤٢٩ – ٤٣٢، الطبعة الثانية ١٩٩٨، الرياض.

التي تغطيها الحشائش، ويطلق عليها بلد العشرة آلاف هضبة.

وفيها مجموعتان عرقيتان: الهوتو ٩٠٪، والتوتسي ٩٪، تنتميان إلى أصل واحد، لخضوعهما تاريخياً لملك واحد هو موامي. ويدين معظم أبناء القبيلتين بدين ومذهب واحد حيث يتبعون الكنيسة الكاثوليكية.

لكن هذا البلد يعيش وضعاً مأساوياً نكداً، بسبب افتقاده الاستقرار والسلم الاجتماعي. فمنذ مئات السنين تسيطر قبائل التوتسي ـ الأقلية ـ على قبائل الهوتو التي تشكل الأكثرية. ونتيجة لشعور الأكثرية الهوتو بالإجحاف والغبن، تفجر صراع دموي عام ١٩٥٩ ذهب ضحيته ١٥٠ ألف قتيل، وتشرد ١٥٠ ألفاً آخرون. وسيطر الهوتو في أعقاب ذلك على السلطة والحكم، ثم تفجر الصراع مرة أخرى سنة ١٩٩٤ بشكل أعنف، فأدى إلى سقوط نصف مليون قتيل، ونزوح أكثر من مليوني مواطن، لجأوا إلى الدول المجاورة. ولقي عشرات الآلاف من هؤلاء اللاجئين حتفهم بسبب الكوليرا وسائر الأمراض.

ونتيجة لهذا الاحتراب الداخلي، تعيش رواندا تخلفاً شاملاً. فهي دولة فقيرة اقتصادياً، برغم إمكاناتها الكبيرة. فقطاع الصناعة فيها ما زال محدوداً للغاية، والحياة المعيشية صعبة مما يضطر الكثيرين من مواطنيها إلى الهجرة، طلباً للرزق في البلاد المجاورة. وتعاني عجزاً في الخدمات التعليمية والصحية، فنسبة

الأمية ٥٠٪، ومتوسط العمر التقريبي ٤٠ سنة فقط. وفي مجال المواصلات، فإن معظم طرقها برية ترابية، وتفتقر إلى خطوط السكك الحديدية، وتحتاج دائماً على المساعدات الخارجية[١].

وبالتأمل في هذين النموذجين المتقابلين، يبدو واضحاً أن الاستقرار والسلم الاجتماعي في تجربة سنغافورة، هما ثمرة طبيعية ناتجة عن حالة المساواة والاحترام المتبادل بين الأطراف التي يتشكل منها الشعب هناك، بينما الصراع والنزاع في رواندا هما نتيجة حتمية لسياسة الاقتصاد والتمييز والاضطهاد.

(١) الموسوعة العربية العالمية، ج ١١، ص ٣٠٠- ٣٠٤، مكتب الآفاق المتحدة : المعلومات ١٩٩٧ – ١٩٩٨، ص ٣٣٨ – ٣٤١ .

الحصانة والوقاية

من الطبيعي أن تتأثر العلاقات الداخلية في أي مجتمع بمختلف العوامل السلبية والإيجابية، فهناك عوامل مساعدة على نمو تلك العلاقات وتوثيق أواصرها وترشيد مسارها، وهناك عوامل أخرى من داخل المجتمع أو خارجه، تلعب دوراً سلبياً في الإضرار بالسلم الاجتماعي، وإثارة الفتن والخلافات والنزاعات المدمّرة.

من هنا، تحتاج المجتمعات المهتمة باستقرارها ووحدتها الدينية والوطنية إلى اليقظة والوعي، وإلى تفعيل المبادرات والبرامج الوقائية والعلاجية المساعدة على حماية سلمها من التصدُّع، وتعزيز وحدتها وتضامنها.

ونشير هنا إلى بعض تلك البرامج الهامة في هذا المجال:

نشر ثقافة السلم

تثير ثقافة السلم في الناس فطرتهم النقية، ووجدانهم

الإنساني، وتبعث عقولهم على التفكير بموضوعية وعمق في خدمة واقعهم ومستقبلهم الاجتماعي والوطني. كذلك تلفت تلك الثقافة أنظارهم إلى التحديات الكبرى والأخطار الرئيسية المحدقة بهم كأمة ووطن، وتدفعهم إلى التنافس الإيجابي في الإنتاج والعطاء والإبداع.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[1]، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[2].

وكمسلمين، فإن تراثنا وتعاليم ديننا الحنيف، فيها ثروة عظيمة، وزخم هائل من التوجيهات والإرشادات، التي تجعل الوحدة والسلم في طليعة الفرائض والواجبات. وكما قال أحد علماء المسلمين: «قام الإسلام على شيئين: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة». ففي القرآن الحكيم عشرات من الآيات التي تدعو إلى حسن التعامل مع الناس بشكل عام، ورعاية حقوقهم المادية والمعنوية. ففي سياق الحديث عن الكفار يحذّر الله تعالى من الأعتداء عليهم إن لم يبدأوا هم بالعدوان ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[3].

وعند الأمر بالدعوة إلى الله، يؤكد الخالق، جلَّ وعلا، على

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٨.
(٢) سورة المطففين ، الآية ٢٦.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

رعاية مشاعر المدعوين واحترام أحاسيسهم. يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

وينهي المسلمين عن أن يتناقشوا مع المخالفين لهم في الدين إلا بأفضل أسلوب وأحسن طريقة ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].

وبشكل عام، يؤكد القرآن على التخاطب الأفضل مع الناس لأن أي إساءة لفظية قد تكون مدخلاً للعداوة والبغضاء: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[3].

ويدعو القرآن الكريم إلى التعامل الأفضل حتى مع الأعداء، بغرض تجاوز حالة العداء﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[4].

هكذا، يعتبر القرآن السيطرة على الانفعالات، والقدرة على التعامل مع المخالفين والأعداء بحكمة وروية، درجة سامية لا يرقى إليها إلا ذو القِسْط الوافر من الوعي والتقوى.

---

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.
(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٥٣.
(٤) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤ـ ٣٥.

هذه التعاليم العظيمة نموذج من منظومة مفاهيمية ثقافية متكاملة، تشكل رؤية الإسلام وبرنامجه، لتوطيد السلم الاجتماعي، وتنميته وحمايته.

وفي المقابل، هناك ثقافة سلبية تقوم بنشر الكراهية والحقد بين الناس، وتضخيم نقاط الاختلاف المحدودة، والتعتيم على مساحات الاتفاق الواسعة، وتشتغل بالتعبئة والتحريض، تحت عناوين مختلفة: عِرقية أو مذهبية أو قَبَلية.

إن مثل هذه التوجهات تخالف منهج الإسلام، وتجر المجتمع إلى الفتن والويلات. وكما قيل: فإن الحرب أولها كلام.

ولو استقرأنا الفتن والحروب الأهلية في المجتمعات الماضية والمعاصرة، لوجدنا بذورها قد نمت في أرضية مثل هذه الثقافة التحريضية البغيضة.

لذلك، حينما يأمر الله عباده المؤمنين بالدخول جميعاً إلى رحاب السلم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[1]، يحذرهم بعد ذلك مباشرة من الاستجابة للإثارات الشيطانية ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2]. فالشيطان لا ينقل المجتمع بقفزة صاروخية مفاجئة نحو الصراع والاحتراب، بل يستدرجه عبر سياسة الخطوة خطوة، التي قد تبدأ بنشر ثقافة

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية ١٤٢.

الكراهية والحقد.

التربية الأخلاقية

تكون أجواء الأسرة، ومناهج التعليم، وسيرة القادة في المجتمع، ملتزمة بالتربية والتنشئة على أساس الاحترام المتبادل بين أطراف المجتمع.

إننا نجد الآن العديد من المجتمعات الغربية، بعد أن تكوّنت فيها جاليات من أعراق وثقافات وهويات مختلفة، تهتم بوضع مناهج وبرامج للتعريف والتعارف، ولتحقيق قدر من الاندماج الوطني يستوعب هذه الجاليات.

وفي هذا الصدد، نشرت الصحف صوراً لشرطيات بريطانيات مسلمات متحجبات، كما استثنت الشرطة البريطانية قبل فترة، السيخ من أصول هندية، من قانون لبس القبعة الخاصة الواقية عند قيادة الدراجة النارية، مراعاةً لالتزامهم بلبس عمائمهم الخاصة بهم.

بالطبع، في المجتمعات الغربية نزعات وتوجهات عنصرية معادية للآخرين، لكن هناك جهوداً تبذلها جهات عديدة، رسمية وشعبية، لمواجهة هذه النزعات، ولاستيعاب هذه الجاليات المختلفة.

وفي المقابل، تعاني بعض مجتمعاتنا الإسلامية أزمات

اجتماعية، بسبب ضيقها من تحمل بعضها بعضاً، حينما تختلف جماعاتها في شيء من الخصوصيات والتفاصيل الجانبية، بينما تنتمي، جميعها، إلى دين واحد، ووطن واحد.

إصلاح ذات البَيْن

أكد الإسلام على الدعوة إلى الإصلاح ومعالجة حالات الاختلاف والصراع داخل المجتمع بين الأفراد أو الفئات. يقول الله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2].

إن الخلاف والصراع أمران محتمَلا الوقوع بين المؤمنين باعتبارهم بشراً لهم مصالح وأهواء. وقد يتصاعد هذا الاختلاف إلى حدّ الاقتتال. لكن المجتمع عليه أن يتدخل لوضع حدٍّ لهذا الصراع: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال، الآية ١.
(٢) سورة الحجرات الآية ١٠.
(٣) سورة الحجرات، الآية ٩.

وعن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البَيْنْ»[1].

وعن الإمام جعفر الصادق عن آبائه عن رسول الله أنه قال: «ما عمل امرؤ عملاً بعد إقامة الفرائض خيراً من إصلاح بين الناس، يقول خيراً وينمي خيراً»[2].

إن مجتمعاتنا الإسلامية بحاجة ماسة إلى وجود هيئات ومؤسسات تعمل على تنمية السلم الاجتماعي وحمايته، وتواجه محاولات الفتن والتصدع الداخلي، بالسعي إلى التقريب بين القوميات والمذاهب والتوجهات والفئات الاجتماعية المختلفة. وإذا أخذنا المشكلة الكردية الملتهبة في العراق وتركيا على الخصوص كمثال، فإننا نسأل: ألا يجب أن ينبري العلماء والمفكرون لمواجهة مفاعيلها السياسية والاجتماعية والثقافية؟ وكذلك الأمر بالنسبة إلى المشكلة الطائفية الحادة في باكستان، ألا ينبغي أن تحظى، هي الأخرى، باهتمام الواعين المخلصين.

وما يجوز على المسألة الكردية أو المسألة الطائفية الباكستانية، يجوز بدوره على الخلافات الحزبية في أفغانستان، وبذور وأجواء الفتن المذهبية في مناطق مختلفة من بلاد المسلمين.

---

(١) علي المتقي الهندي، كنز العمال، ٥٤٨٠.

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الأوار، ج ٧٣، ص ٤٣.

إنها مسؤولية عظمى، وقضية هامة، لا يصح أن نمر عليها مرور الكرام.

وهذا هو دور العلماء الواعين، والمفكرين المخلصين.

ولا يصح أبداً أن تترك الساحة للجهات الساذجة أو المغرضة لتذكي أوار الفتن والخلافات، وتسمم الأجواء بالكراهية والحقد. كما لا يجوز أن يكتفي المخلصون الواعون بمشاعر التأثر واجترار آهات التألم، بل ينبغي تضافر الجهود المهتمة بمصلحة الدين والوطن في أرجاء عالمنا الإسلامي المترامي الأطراف، لأخذ مبادرات الإصلاح والدعوة إلى الوحدة والتقارب.

وتلوح في الأفق بشائر طيبة، نأمل أن تشق طريقها إلى الأمام، بهدف جمع شمل الأمة، وتوحيد صفوفها، وتوجيه جهودها وطاقتها نحو مقاومة العدوان الصهيوني الغاشم، الذي يحتل مقدساتنا ويمارس أبشع الجرائم والانتهاكات بحق إخواننا في فلسطين.

وختاماً، أشكر لكم أيها الأخوة الأعزاء حسن إصغائكم وأعتذر لكم عن كل خطأ أو تقصير. والحمد للّه ربّ العالمين، والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

تعقيبات ومداخلات

الدكتور عبد الله الحامد

شكراً للشيخ حسن الصفار على هذه القراءة القيمة عن مفهوم السلم الاجتماعي، والتي تطرقت إلى هذا الموضوع الحيوي الحساس، بقدر كبير من الموضوعية والدقة والشفافية. ولا شك في أن الشيخ الصفار تناول هذا الموضوع تناول العارف البصير، الذي يركز على ملامح هامة وأساسية، لنزع فتائل الخلافات، وبراكين الكراهية، التي تعصف أحياناً بثقافاتنا، والتي لا تتبين آثارها إلا بعد زمن، ولا شك أيضاً في أن هذا هو دور المثقف الديني خاصة، لأن للثقافة الدينية أثرها الكبير في توعية الناس بهذا الجانب المهم من السلم الاجتماعي، الذي نجد، للأسف، أن الكتاب الدينيين لم يعطوه حقه، أو لعله أحياناً صار يستخدم الدين وسيلة من وسائل بث الكراهية، وينبغي أن نقول هذا بشكل واضح، لأن هذا من مشكلات ثقافتنا التي نعيشها الآن.

الأستاذ أمير أبو خمسين

نشكر سماحة الشيخ حسن الصفار على هذا الموضوع الشيِّق الذي أتحفنا به من خلال تركيزه على قضايا أمتنا وقضايا عالمنا الإسلامي. وفي الواقع لدي مداخلة وتعقيف في الوقت نفسه:

تمتلئ أحاديثنا وكتبنا الإسلامية بالمفاهيم والمواضيع الحساسة، كالحوار والسلم والمناظرة وغيرها من الأفكار السلمية، التي تعبّر عن تقدم المجتمع، ونموه، ووصوله إلى مستوى المجتمع المدني، الذي يتميز بهذه الصفات، وبالتالي فإن من أدوات التقدم الاجتماعي الحوار والسلم. وفي واقعنا الاجتماعي، كيف يتحقق السلم الاجتماعي، الذي نقصد به الحوار والتعاطي بين أفراد المجتمع بنفس إيجابي، في الوقت الذي تبقى الفروقات والتباين، وهذه سنة الله في الحياة، حيث لم يخلق الناس متساوين كأسنان المشط، بل خلقهم مختلفين، كل له توجهه وأفكاره، وبالتالي نحتاج إلى آلية للعمل على خلق هذه الحالة، وتجذيرها في المجتمع. وهذه الآلية تتطلب منا التغاضي

والتسامح، وإلا فالخلاف قائم، فنحن في مجتمع واحد حيث يجمعنا وطن واحد وتربة واحدة، وننضوي تحت سقف واحد، وأمامنا تجارب للكثير من المجتمعات الغربية والأوروبية، فهذا المجتمع الأمريكي الخليط من الجنسيات والأعراق المختلفة يتعايش بعضه مع بعض، وبدون أي عائق، وكذلك المجتمعات الأخرى كالأوروبيين وغيرهم.

أتصور أننا لكي نخلق واقعاً سلمياً، يحتاج الأمر إلى وقفة مبدئية، تحدّد جوهر الاختلاف، في ما يتعلق بالغايات والمعنى، قبل أن نبالغ في التكرار الممل لنا، بقصورنا وقصور وسائلنا، وضعف أدائنا.

إن هذه الوقفة التي أدعو لها لا ينبغي أن تبرّر كسلنا أو تقاعسنا. إن الكسل والادعاء أنه لا توجد لدينا مشاكل، أو أننا غير قادرين على خلق واقع سلمي اجتماعي، لن يحققا لنا أهدافنا، بل هما تنازل عن حق الحياة ذاتها. إذا كان البديل عن اللحاق بالمجتمعات المتطورة التي عاشت ولا تزال تعيش الواقع السلمي الاجتماعي، أن نقعد في أماكننا، فكلا، أما إذا كان البديل أن نستولي على حقنا من أدوات ووسائل، وأن نتقنها، وأن نضاعف جهدنا، وأن نملأ وقتنا، لنتوجه بها إلى ما يليق بنا وبالبشر، وكل ذلك لتعمير الأرض وكرامة البشر، فنعم. ولنكن منطقيين في التعاطي مع الأمور بشكل عقلاني ومنطقي، بدون

التعصب البغيض، والانطوائية المقيتة في مجتمعنا، وهذا الأمر موجه إلى جميع الأطراف المتعايشة. هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وشكرًا.

الأستاذ محمد الصالح[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أحيي فضيلة الشيخ حسن الصفار، الذي سمعنا عنه أخباراً مفرحة وصفات حميدة، وما رأيناه اليوم (من بحثه حول السلم الاجتماعي) يفوق ما سمعناه بالأمس. أخي الكريم، هناك نمط معين من التفكير المرضي، ذلك الذي يجعل المرء قادراً على الضرب أو القتل أو الاغتصاب، وهو الذي يدفع جماعة ما إلى إبادة جماعة أخرى. فالمانع الأخلاقي يتوارى كثيراً، حين يفكر الشخص في أن من ينازعه مخطئ أو شرير، أو مصدر للخطر أو أدنى منه مرتبة، بينما يعتقد أنه أفضل من الناحية الأخلاقية، أو أكثر صواباً، أو أكثر تفوقاً. إنهم سجناء الكراهية. ونحن في هذه الندوة تعلمنا الكثير وتهذبنا، وأنا أحد تلاميذ هذه الدوحة المباركة، هذه الدوحة التي علمتنا احترام الرأي الآخر، والحوار الهادئ، بألفة وانسجام، إلا أنني أودّ أن أطرح على سماحة الشيخ

(١) مستشار بالأمانة العامة لمجلس الوزراء السعودي.

حسن الصفار بعض الأسئلة التي ربما هي صادرة من رجل تصفه بأنه سني، ولكنه سني معتدل.

السؤال الأول: ظهرت في الفترة الأخيرة دعوات تصحيحية للفكر الإمامي الجعفري مثل كتابات موسى الموسوي وأحمد الكاتب والشيخ محمد مهدي شمس الدين وغيرهم، ما رأي المحاضر الكريم في هذه الدعوات؟ وما موقف الشيعة منها؟

السؤال الثاني: عانى المسلمون الفرقة المذهبية وما زالوا، فما هي في رأي المحاضر الكريم عوامل الخروج والانعتاق من هذه الفرقة؟

السؤال الثالث: هناك من يؤيد فكرة التقريب بين المذاهب أو هناك من يعارض، فهل يمكن قيام تقليد، أو فتح مجال للحوار، للوصول إلى أسس يتفق عليها من الجميع؟

السؤال الرابع والاخير: يشتمل فكر بعض الطوائف على أمور غير منطقية ولا يقبلها العقل، وأصبحت تلك الأمور مثالب يستغلها أعداء الإسلام في اتهام الإسلام وتشويه صورته، فما رأي فضيلتكم حفظكم الله ورعاكم، ونشكركم على ما تفضلتم به، وشكراً.

الأستاذ سعد العليان

السلام عليكم،

القصد من السؤال هو السباب التقليدي والمعاصر، فما الحل للكفّ عنه؟ خاصة ما يتعلق بالصحابة، رضوان الله عليهم، وشكرًا.

الدكتور علي محمد الهاشمي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

شكراً جزيلاً للأخ المحاضر على روحه الطيبة السمحة، وعلى كلامه الطيب، ونحن بأمس الحاجة إلى أن نقف عند الأخوة الإسلامية، وأن نبتعد عن هذه الخلافات المذهبية التاريخية التي عفا عليها الزمن. أنا لا أتصور أن شاباً أو إنساناً مسلماً متعلّماً متنوّراً يهضم مثل هذه الأشياء التي ذكرها الأخ، يعني سب الصحابة. هذا الأمر سخيف، كريه، ومنبوذ، ومستكره، وأظن أن إخواننا الذين نقول لهم إخواننا الشيعة، نظن أن الإخوان المتنورين منهم يمجّون هذه الآفة هذه الأيام ويستنكرونها، ولا يرضون بها إطلاقاً. هذه القيم وهذه المثل وهذه المبادئ التي نسمعها، لا أحد منا لا يعرفها ولا يدركها، ولكن المهم التطبيق، المهم التطبيق العلمي لها. وكلنا يعلم أن هناك عاملين أساسيين

(١) أستاذ سابق في الرئاسة العامة لتعليم البنات ـ الرياض.

لا ثالث لهما: التربية، أي النفوذ إلى القلوب، التعليم والتهذيب، وسيف الحق الذي هو سيف القانون الذي يأخذ الناس دائماً إلى الحق والخير والهدى والرشاد، والحمد لله رب العالمين.

الدكتور عبد العزيز عبد الله الجلال[1]

شكراً للأخ الرئيس. في الواقع سعدت هذه الليلة بسماع سماحة المحاضر الشيخ حسن الصفار، وقد قرأت الكثير من كتبه ومقالاته، وسمعت أحاديثه في عدة مجالس، وهذا ما دفعني إلى المشاركة والحرص على الحضور هذه الليلة.

وكما أشار الإخوان، فإن التاريخ مليء بالمآسي بين الفرق الإسلامية، ونحن في الحاضر قادرون على تجاوز هذه المآسي، وبخاصة بين السنة والشيعة، فيجب أن نتجاوز الماضي من الطرفين، من طرف السنة، ومن طرف الشيعة، وأنا أتكلم بهذا الخصوص عما تعانيه منطقتنا، وتحديداً في الخليج وفي المملكة العربية السعودية بالذات.

إنني على يقين تام بأن نظامنا الحاكم في المملكة العربية السعودية حريص على تجنب الفرقة، وحريص على وحدة

(١) المدير العام لقطاع شؤون الإنسان والبيئة في الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي، باحث ومؤلف.

المجتمع. وإنني على يقين أيضاً بأن علماءنا ومفكرينا وقيادتنا بشكل عام، حريصون على هذه الوحدة الاجتماعية.

ومما يستغرب أن نلاحظ بين الحين والآخر بعض المطبوعات مجهولة المؤلف، وبعض المنشورات، وأحياناً نستمع إلى بعض الخطب في المنابر والمساجد، تدعو إلى الفرقة، مما يجعل الإنسان يستغرب: من وراء هذا التوجه السيئ؟ وهو توجه لا نعتقد أن قيادتنا تؤيده، أو تسعى إليه، ولا حتى علماءنا ومفكرينا. وقد يكون نوعاً من العمل الهادف إلى شق وحدة المجتمع. فيجب علينا، حتى لا تحدث مثل هذه المبادرات السيئة، العمل على إيقافها، كل على قدر استطاعته، وشكراً.

الشيخ حسن الصفار

أشكر الأخوة جميعاً الذين تحدثوا، وأبدوا حسن ظنهم، وحسن انطباعهم نحو أخيهم المقصر القاصر، وأشارك الأخ الأستاذ محمد الصالح ما تحدث به حول هذه الندوة المباركة التي هي بالفعل مدرسة تدوم إن شاء الله، وتمتد آثارها إلى مختلف الفئات والمناطق. وقد تشرفت بحضور هذا المنتدى المبارك مرات سابقة، وبالفعل وجدت فيه مناخاً طيباً للحوار، وللتربية، وللمعرفة السليمة الصحيحة. وسوف أسعى إلى أن أزيل بعض الالتباسات وأجيب عن الأسئلة التي طرحها الأخ الأستاذ محمد الصالح.

الدعوات التصحيحية

السؤال الأول: حول الدعوات التصحيحية، تراثنا الإسلامي، عند كل المذاهب، يحتاج إلى غربلة عما تراكم عليه وفيه من عصور التخلف. كل المذاهب تعاني هذه المشكلة، سنة وشيعة، ولكن الجرأة على نقد التراث وعلى نقد السائد والمألوف، لا

يتحلى بها أي أحد، وإنما تحتاج إلى أشخاص لديهم الإخلاص الكافي، ولديهم الشجاعة الكافية، لكي يعلنوا الحقائق ولا يتأثروا برأي الشارع، أو رأي الناس، أو الرأي السائد والمشهور المخالف للحق والصواب.

وعند الشيعة حصلت مثل هذه الدعوات من فترة طويلة وليست قليلة. عندنا علماء كان لهم دور في الإجهار بأشياء تخالف ما هو سائد، وما هو مألوف في مجتمعاتهم. والأسماء التي ذكرها الأستاذ محمد الصالح، بعض هذه الأسماء يأخذ الناس عليها أن دعواتها لم تأت من واقع معرفي، بمقدار ما جاءت ضمن سياق حالة سياسية معينة، وإلا فأصل الدعوات التصحيحية موجود، وأنا شخصياً عندي أمل كبير في أن مثل هذه الآراء والدعوات ستشق طريقها، وستغير الكثير من الأفكار السائدة، وسترفع العوائق التي تمنع تلاقي المسلمين مع بعضهم البعض. عندنا نص واحد مقدس هو القرآن الكريم، وإلى جانبه ما ثبت من السنة النبوية بإسناد صحيح معتمد. وإذا كان النص القرآني والنص من السنة عندنا مقدساً، إلا أن تفسير هذا النص ليس مقدساً، فنحن غير ملزمين بتفسير علمائنا السابقين لآيات القرآن ولا للأحاديث النبوية، وبإمكاننا نحن أيضاً أن نجتهد في تفسير آيات القرآن، وأن نجتهد في فهم معاني ومدلولات أحاديث السنة، فنحن غير ملزمين بفهم العلماء السابقين، نعم، نستضيء

بفهمهم، نستفيد من فهمهم، لكن إذا تبين لنا أن هناك خطأ، أو أن هناك فهماً أصح وأصوب، فواجبنا الشرعي يُلزمنا بالأخذ بالشيء الصحيح وبالحق. فدعوات التصحيح موجودة، ومرجو لها أن تتواصل، وأن تتقدم، وأنا شخصياً أؤيد هذا المنحى، وأرجو أن يكون لي دور في الإسهام فيه إن شاء الله.

الانعتاق من الفرقة المذهبية

السؤال الثاني: الانعتاق من الفرقة المذهبية، يبدو لي أنه يتم ضمن أمور محددة.

أولاً: الاعتراف المتبادل ببعضنا البعض. لا يصح لطرف أن يعتبر نفسه هو الأصل، وأن ما عداه دخيل، وأن ما عداه انحراف، وأن ما عداه ابتداع. وإذ كان هو يدّعي ذلك تجاه غيره فغيره أيضاً قد ينظر إليه النظرة نفسها. إذا قلت أنا لمن يخالفني إنه مبتدع، فهو أيضاً قد يقول عني إنني مبتدع، وهذا لا يحل المشكلة، فينبغي أن يعترف الجميع ببعضهم، فهذه مذاهب ومدارس وتوجهات قائمة، وتمثل بمجملها ثروة غنية في الفقه والمعرفة الإسلامية، علينا أن نستفيد منها. فالاعتراف مسألة رئيسية. أما إذا كان البعض منا يصر على نفي الآخر، على إلغائه، على إخراجه من دائرة الدين والإسلام، فهنا لا يمكن أن يحصل تقريب، أو يحصل تقارب وتلاق.

ثانياً: الاتفاق حول المصالح الحاضرة المشتركة. أنا لا أرى أن نبدأ التقارب والتقريب بالانشغال في المناقشة حول قضايا عقدية أو فقهية أو تاريخية، لأنها ستشغلنا عن هموم الحاضر، التي تأخرنا عن معالجتها زمناً طويلاً. وإذا انشغلنا الآن بالمناقشات والحوار في القضايا العقدية أو الفقهية، واعتبرناها مهمتنا الرئيسية في هذه المرحلة، فمتى سنتفرغ لهموم الحاضر ولمواجهة التحديات التي تحيط بنا؟

نعم، ينبغي أن يكون الحوار جنباً إلى جنب مع اهتمامنا بقضايانا الكبرى، وبمصالحنا المشتركة. لا يصح أن نؤجل التعاون في المصالح الحاضرة والمشتركة. حتى ننتهي إلى نتيجة في حوارنا حول قضايا العقيدة أو الفقه أو التاريخ.

ثالثاً: الحوار الموضوعي يكون عبر تكوين لجان علمية، فلماذا لا تتكوَّن عندنا لجان علمية لتحرير محل الخلاف والنزاع؟ في كثير من الأحيان قد يكون النزاع وهمياً لفظياً، وليس هناك نزاع حقيقي، وقد يتهم كل طرف الآخر بتهمة هو بريء منها، أو هو يتبرأ منها، لنحرر أماكن الخلاف والنزاع، ثم لتكن هناك لجان علمية متخصصة، تبحث هذه الأمور، وتتفق على أسس، وعلى مبادئ، تنطلق منها في معالجة سائر القضايا والمسائل. وتجربة المجتمع الفقهي الإسلامي المنبثق عن (منظمة المؤتمر الإسلامي) تجربة طيبة ورائدة، لو فُعِّلت، ولو أصبحت أكثر شجاعة وجرأة في

مناقشة القضايا الفقهية، والاتفاق على ضوابط وأسس معينة.

وكذلك في الجانب الفكري والعقدي، لماذا لا تكون عندنا مؤتمرات؟ لماذا لا تكون هناك لجان؟ لماذا لا يكون هناك حوار؟ فأن يكتفي كل واحد بأن يتخندق ويتمترس خلف خندقه ويطلق الاتهامات، ويطلق الفتاوى المضادة، من دون أن يقبل الحوار والمناظرة مع الآخرين، أمام الرأي العام، وفي المؤتمرات العلمية، فهذا لا يوصلنا إلى نتيجة.

رابعاً وأخيراً: التركيز على المشتركات. في ثقافتنا، في فكرنا، في فقهنا، الكثير من المشتركات، ولعلّ المشتركات أكثر من ٩٠٪ بين المذاهب الإسلامية، وخاصة بين السنة والشيعة، وما يختلف عليه ١٠٪ أو ٥٪ أو حتى أقل، فلماذا ننشغل بما نختلف فيه عما نتفق عليه.

عبر هذه الأمور يمكن الانعتاق من حالة الفرقة والنزاع المذهبي. وفي المجتمعات الأخرى، الغربيون أيضاً لديهم مذاهب، فالمسيحيون ليسوا مذهباً واحداً، وليسوا طائفة واحدة، ولكنهم ما عادوا ينشغلون بنزاعاتهم عن بناء واقعهم، وعن تنمية أوضاعهم وأوطانهم، وعن تعاونهم مع بعضهم البعض.

أسس للاتفاق

السؤال الثالث: هل يمكن الوصول إلى أسس؟ نعم، يمكن

الوصول إلى أسس، ولمَ لا، ما دمنا نتفق على أسس الإيمان والتوحيد والنبوة والمعاد. فهذه هي أسس الإسلام نتفق عليها، ونؤمن بكتاب واحد، وبقبلة واحدة، وأركان الدين وفرائضه عندنا واحدة، والاختلاف إنما هو في بعض التفاصيل، وبعض المسائل الجزئية الجانبية، وهي ليست اختلافاً بين فئتين، أي بين السُّنة والشيعة فقط، بمقدار ما هي اختلافات واردة داخل كل مذهب من المذاهب، وكل فئة من الفئات أيضاً. فليس هناك رأي موحد عند كل علماء المذهب الواحد وفقهائه في كل المسائل.

أشار الأستاذ محمد الصالح إلى وجود بعض الأخطاء عند بعض الشيعة، أو عند بعض السُّنة، وهذا ما يجب أن نقر ونعترف به. لا نستطيع أن نزكّي أنفسنا ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ و ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾. الإسلام يعلِّمنا كيف نكون شجعاناً في نقد أنفسنا، وفي الاعتراف بأخطائنا. ففي أوساط الشيعة هناك أخطاء، وفي أوساط السنة هناك أخطاء، ولكن كيف يمكن تجاوز هذه الأخطاء. المصلحون في وسط الشيعة، أو في وسط السنة، يحتاجون إلى التعاون مع بعضهم حتى يسود جو الاعتدال وتسود الثقافة التصحيح.

وكمثال، ما أشار إليه الأستاذ سعد العليان وهو مسألة سبّ الصحابة، فلو رجعنا إلى ما ورد في مذهب أهل السنة حقيقة لوجدنا أن أئمة أهل البيت ينهون عن السبّ.

الإمام علي، في خضم (معركة صفين)، يمر على جماعة من أصحابه يسبون معاوية وأهل الشام، فيقف عليهم ويقول: «إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دمائنا ودمائهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به». إنه ينهى أصحابه عن سب معاوية وأصحابه، وهو يخوض معركة معهم، وهذا موجود في نهج البلاغة، خطبة رقم ٢٠٦، كما هو موجود في الكتب الشيعية المعتمدة.

وكما ذكرنا، كان الإمام علي يرفض أن يسبّ الخوارج وهم يكفّرونه، وكان ينهى عن سبهم. ورد في نهج البلاغة أنه كان جالساً مع جماعة من أصحابه فمرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال الإمام علي: «إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه، فليلامس أهله، فإنما هي امرأة كامرأته»، فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه. فوثب القوم ليقتلوه فقال عليه السلام: «رويداً، إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب!».

هذه هي أخلاق (أهل البيت عليهم السلام)، وحالة السباب هي حالة طارئة، نشأت بسبب حالات النزاع والخصومة. ومن المؤسف

أن الصحابة هم الذين جرأوا الأجيال اللاحقه على أنفسهم، حينما تقاتلوا، وحينما تسابوا هم، فأول من سنَّ سبّ الصحابة هم الصحابة أنفسهم، في ما بينهم. لقد سُبّ الإمام علي سنوات طويلة في عهد الدولة الأموية، وبأمر من معاوية في البداية، كما هو مذكور في العديد من الكتب والسّير والتواريخ. فالصحابة، بسبب هذه الاخطاء، جرأوا من جاء بعدهم من الأجيال على السبّ، ولكنه خطأ لا ينبغي السير عليه، ولا ينبغي إقراره. والعلماء الواعون المخلصون يحاربون هذا الأمر، ولكن كما في الكثير من المجتمعات غالباً ما يكون أمر الشارع، وأزمة الرأي العام، ليسا بأيدي الواعين المخلصين، بل بأيدي من يستفيدون من هذا الأمر لتكريس مواقعهم ونفوذهم. ولكن في العصر الراهن هناك العديد من علماء الشيعة، بل أكثر علماء الشيعة، يصرحون بهذا الأمر، ويدعون أبناء الشيعة إلى تجاوز هذه السلبيات الخاطئة والمفرقة.

والاحتجاج بما في بعض كتب الشيعة، ليس احتجاجاً تاماً، لأننا نعترف بأن في تراثنا أخطاء وثغرات، ونقاط ضعف. الآن كأمر واقع، هناك ثورة، هناك معارضة لمثل هذه التوجهات، وتنقية لمثل هذه التوجهات، نأمل أن نوفق جميعاً لتجاوز هذه الأخطاء والثغرات، وأن نستفيد من (أهل البيت) ومن صحابة رسول الله ﷺ. وبالمناسبة، كتاب الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين علي بن الحسين، وهو كتاب معروف ومنتشر

بين الشيعة، فيه دعاء من الأدعية حول الصحابة، في الثناء على أصحاب الأنبياء ومدحهم، والصلاة عليهم، والاستغفار لهم، والإقرار بفضائلهم. وهذا هو المنهج السليم الصحيح الذي سار عليه أئمة (أهل البيت)، ونأمل أن يوفقنا الله جميعاً للسير على هذا المنهج.

الدكتور عبد الله الحامد

شكراً للأستاذ الشيخ حسن الصفار. لعلّي أستأثر قليلاً بسؤال إذا سمح لي الأستاذ المحاضر والإخوان.

لا شك في أنه مما يذكي التعايش هو أن نفهم الظروف التاريخية التي أدت إلى التنازع، بدءاً من التاريخ الأموي. ولا شك في أنه أيضاً من الأشياء المهمة العودة إلى ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، وخاصة علي بن أبي طالب في مسألة العلاقة مع الفرق الأخرى، أي استبعاد تكفير أهل القبلة.

لكن، يبقى بعد ذلك أن من حق كل فرقة أن تعتبر الآخرين مبتدعين وهذا شيء ومسألة فيهما وجهة نظر، فالشيء الذي أقتنع به أنا ـ مثلاً ـ أرى الآخر مخطئاً فيه، وبالتالي فمسألة اعتبار الآخر مبتدعاً، لا يمكن الخلاص منها، لأنها مسألة اجتهادية.

لكن الذي ينبغي في رأيي الإصرار عليه، هو أن يقبل بعضنا بعضاً، حتى لو اعتبر بعضنا الآخر مبتدعاً، وهذا أمر طبيعي أن يعتبره كذلك لأن عادة الإنسان إذا اجتهد في شيء، أن يعتبر الآخر

الذي اجتهد اجتهاداً مخالفاً، مخطئاً. ولكن الذي يجب عليه أن يتعايش، فلا يكفّر ولا يشتم، ولا يفسّق، يعني مثلما حصل بالنسبة إلى المحدثين.

فالبخاري ومسلم رويا عن عدد كثير من رجال الفرق الإسلامية، ولم يعتبرا اعتناق هؤلاء لبعض الأفكار ما يخل بالعدالة، بل احترما أفكارهم، وهذا هو في ظني ما يجب أن نعمله الآن.

قد يصعب علينا ألا نعتبر الآخر الذي يخالفنا غير مبتدع، لكن لا يصعب علينا أن نعتبره إنساناً من أهل القبلة له حقوقه، ورجلاً عَدْلاً ثبتاً بصفاته الموضوعية الأخرى.

الشيخ حسن فرحان المالكي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

نشكر للشيخ حسن الصفار هذا الحضور وهذه المحاضرة، ونشكر الإخوة المداخلين، وخاصة مشاركة الدكتور محمد الصالح، فهي من أجمل المشاركات.

تقريباً معظم النقاط التي كنت أريد أن أقولها قد تطرق إليها بعض الأخوة المعلقين.

هناك نموذج لم يشر إليه الشيخ حسن الصفار، وهو موقف النبي ﷺ من المنافقين. فقد ذكر صحيفة المدينة في التعامل مع اليهود، ولكن أيضاً المنافقين هم المنافقون، والنصوص تنزل فيهم، وكان النبي ﷺ يعاملهم معاملة المسلم، لهم حق التوارث

(١) باحث تربوي بإدارة تعليم الرياض، رئيس للمناهج بإدارة التطوير التربوي، مؤلف وباحث في علوم التاريخ والحديث.

والتزاوج، ولهم حقوق سائر المسلمين.

المشكلة أن السُّنة في مجتمعات الشيعة، يشكون من الاضطهاد، والشيعة في مجتمعات السنة يشكون من الاضطهاد، وهذا يدل على أن الشخص أو الفئة لا تشعر بالظلم إلا عندنا تكون أقلية في المجتمع. وهذه مشكلة عند السنة والشيعة جميعاً.

لم يشر الشيخ حسن الصفار، إلا في الجزء الاخير من بحثه، إلى اللجان المشتركة، أو اللجان التي تبحث أسس الخلاف، وتحاول أن تفهم الطرف الآخر على الأقل. لم يشر إلى الأثر التاريخي على الخصومات المذهبية، وكذلك الأثر المذهبي لأنه ـ في ظني ـ أن اللجان التي ستقوم ـ إن قامت ـ أو هيئات الإصلاح ستواجه عدة أسئلة، مثل بعض الأسئلة التي طرحت في هذه الندوة، ونحن بحاجة لمعرفة الأثر التاريخي على هذا العقل المسلم، وعلى هذه النفس المسلمة، وعلى تعامل المسلمين مع بعضهم.

فالتاريخ كتب بأهواء، ليس كل التاريخ طبعاً، ولكن جزء كبير منه خاصة الأثر التاريخي في المذهبيات، فنجد حتى داخل السنة تكفيراً صريحاً لأبي حنيفة رحمه الله، ونجد تكفيراً أو تبديعاً داخل الشيعة لبعض علماء السنة. وهناك أيضاً تكفيرات متبادلة داخل الشيعة. وهذه المشكلة تكمن في عدم فهم الآخر، أو على الأقل عدم معرفة الحق، يعني حق الإسلام.

هناك عملية الترتيب للهرم نزولاً، أي ترتيب الإيمانيات والمحرمات، هذه لم يقم بها لا السنة ولا الشيعة. فلو يقومون بترتيب الإيمانيات: الإيمان بالله واليوم الآخر، إثبات النبوّات، الإيمان بالملائكة والرسل، والقضاء خيره وشره، ثم أركان الإسلام وترتيبها، ثم ترتيب المحرمات المعروفة، من قتل النفس، ومن الزنى، ومن السرقة، هذه الأمور تقريباً لا يوجد عالم لا سني ولا شيعي ولا أباضي ولا غيرهم، إلا متفقاً على هذه المساحة الكبيرة، وهي المساحة القطعية التي نهملها بسبب جزيئات تأتي وتنسف هذه المساحة المشتركة الكبيرة.

نحن نجد أن الغرب يوظف بعض نقاط الاشتراك عنده توظيفاً قوياً، بينما نحن نوظف نقاط الاختلاف عندنا.

وأيضاً هناك مشكلة التعميم. فهناك فكرة عند الشيعة بأن السنة جميعهم منحرفون عن (أهل البيت)، وهناك فكرة عند السنة بأن الشيعة جميعهم منحرفون عن الصحابة الكبار، وخاصة المهاجرين والأنصار، وليس هناك دراسة ميدانية، بل كل يستدل على الآخر بأنه وجد كتاباً من كتبه، أو وجد خطبة فيعممها على الطائفة جميعاً.

أيضاً نادى الأستاذ أمير أبو خمسين بالتنازل عن شيء من الدين، عن شيء من الإيمانات، وأنا لا أرى التنازل عن بعض العقائد، أو عن بعض الأفكار، فذلك صعب. يعني أنا مع الدكتور

عبد الله الحامد في أن نتعامل مع بعضنا البعض، حتى لو كنا نظن أن الطرف الآخر مبتدع، أو ارتكب بعض الأخطاء، لكن يبقى له حق الإسلام، يبقى مسلماً له حقوقه كاملة، ويمكن بالنصيحة والبحث وغيرهما التفاهم.

أثار الشيخ حسن الصفار نقطة هيئات الإصلاح، إن صح لي التعبير. لم نسمع أن قامت هيئة إصلاح في أي منطقة من العالم الإسلامي جميعاً، وليس في الخليج فقط. لم نسمع أن قامت هيئة إصلاح إلا حينما دمرت أصنام بوذا، فذهبنا نحاول أن نتوسط وما أشبه ذلك، فلماذا لم تشغلنا دماء المسلمين المسفوكة في باكستان، وغيرها، وفي أفغانستان، وفي الصومال. فلماذا لا تتشكل هيئات إصلاح بين المسلمين وتقريب وجهات النظر في ما بينهم.

كذلك، من الأشياء المهمة وجود دراسات ميدانية، حيث هي ضعيفة عندنا، فنحن لا نعرف نسبة الشيعة الذين يسبون أبا بكر وعمر، والشيعة لا يعرفون نسبة السنة الذين يغالون في معاوية ويزيد وبني أمية. يعني مسألة الدراسات الميدانية عندنا مفقودة.

آخر نقطة أشارك فيها هي أن كلمة الصحابة كلمة عامة، وفي ظني أن هناك المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان، ينبغي أن نتفق حولهم. أما من بدل وغيّر وأساء، فحتى في السنة أنفسهم لو نراجع تراجم الصحابة، الحافظ بن حجر والاستيعاب

لابن عبد البر، هناك مجموعة من الصحابة مثل بسر بن أرطأة، أو الوليد بن عقبة... كما نزل نص الآية ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا..﴾ فهناك نقطة مشتركة، ولكن نسبة المثنى عليهم، هذه نقطة الخلاف بين السنة والشيعة، أما مسألة وجود الصحابة مذمومين عند السنة موجودين في تراجم الصحابة، لكنهم غيّروا أو كانوا من المتأخرين الذين أساؤوا لصحبة النبي، هذا ما أحببت أن أشارك فيه.

الدكتور راشد المبارك[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

سعدت كما سعدتم بلقاء أخينا الكريم الشيخ حسن الصفار، وسعدت بما استمعت إليه منه لأمرين:

الأمر الأول: أن موضوع حديثه هو هاجس يساور كل من يحمل هموم أمته ويعايشها.

الأمر الثاني: أنه ممن يستبطن من هذا الأمر ويحسن الإبانة عنه.

ولفت نظري تركيز بعض الأخوة على الخلاف بين السنة والشيعة، وكأن الخلاف والفرقة لم يقعا إلا بين السنة والشيعة، على حين أننا نعلم أن هذا الأمر دق وتفرع حتى تغلغل بين كل أفراد الطائفة الواحدة أو المذهب الواحد. فتاريخنا يدلنا أنه قلّ أن خلا عَلَم من الأعلام ممن طُعن فيه أو بُدِّع أو ضُلِّل. لقد بُدّع

(١) باحث ومفكر، أستاذ كيمياء الكم في (جامعة الملك سعود) سابقاً.

البخاري، ومُنع من الوصول إلى بلدته، حتى مات محصوراً بسواها. وحُصب الطبري، ونعرف ما حدث من منازعات بين الشافعية والحنابلة، وقيل ما قيل في ابن تيمية. ثم توالى هذا المسلسل، ونعرف ما قيل عن الشيخ محمد عبده، وما قيل عن الحسن العطيبي، وما قيل عن الحسن البنا، حتى يكاد لا يبقى عَلَم من الأعلام لم ينله سهم من هذه السهام.

فلا نأخذ القضية على أنها خاصة فقط بين السنة والشيعة. البلاء أعم. وما نعيشه في الوقت الحاضر يكاد لا يستثني من ذلك أحداً. فذلك همّ ينبغي أن يعالَج، وأن يكون من أهم ما تتوجه إليه الجهود لإصلاحه ومعالجته.

إذا رجعنا إلى أصل الأصول في ما نهتدي به ونقتدي، وهو كتاب الله، فإننا نجد وأنا لا أضع نفسي موضع فقيه أو مُفْتٍ، ولكن لا يجوز أن أكفّ نفسي عن أن أكون قارئاً أحاول أن أفهم كتاب الله ـ أن الله قد قال في محكم كتابه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ ثم استحث فقال ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. فالقرآن وهو الهداية للبشر، ليس لغزاً من الألغاز، ينبغي أن يكون موقوفاً على فئة أو طائفة، أو لمن تخرَّجوا من الكلية أو الجامعة، وإنما هو العلم مبثوثاً في العالم، فإذا رجعنا إلى القرآن، وجدناه يضع قوانين أربعة، تتوجه إلى أربع فئات من المجتمع أو المجتمعات.

القانون الأول: هو الحاكم للعلاقة بين البشر كافة وهو قانون

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾. فهذا الاختلاف ينبغي أن يكون وسيلة للتعارف والألفة، لا للشقاق والنزاع، هذا بين أفراد البشر عامة.

القانون الثاني: هو الذي يحكم المسلم ومن يغايره في ملته إذا كان هذا المغاير مسالماً وغير محارب، ولم يلحق المسلمين منه أذى، ويحكمه القانون ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، ثم يوضح ذلك ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾.

القانون الثالث: الذي يحكم حالة من يطلب لنفسه الاستماع كما يُطلب منه أن يستمع، أي من يجادل، وهذا يحكمه ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. وفي هذا ملحظ عجيب كما في الآية الأولى ﴿أن تبرّوهم﴾، فإن الله في الآية الأولى لم يكتف فقط بالعدالة، وأن يعاملوا بالعدل، وإنما ما هو أبعد من ذلك، وهو البر، الذي جعله من حق الوالدين، وهذا ملحظ عجيب أن يقارن حق هؤلاء بحق من حقوق الوالدين.

وفي الملحظ الثاني قال: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ولم يقل (وجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن)، فلو قال (وجادلوا) لكانت المجادلة مطلوبة، لكن المجادلة

ليست مطلوبة، إنما إذا حدثت فلتكف شهوة النفس عن الغلبة، أو الشهوة المغالبة، بأن تكون بالتي هي أحسن.

القانون الرابع: الذي يحكم حالة المحاربين الذين يمنعون كلمة الله أن تصل إلى البشر، ويريدون أن يصدّوها، ويبذلون في ذلك طاقتهم، ويخرجون المسلمين من ديارهم ويظاهرون عليهم، وهذا ما تصنعه دولة إسرائيل في الوقت الحاضر، ومن يظاهرها، فهذه في قانون البشر بأجمعهم، لا يجوز أن تقابل من يحمل مدفعاً، ويوجه إليك، أن تقابله بالمصافحة أو العناق.

الأمر الحسن في هذا، أن الله أقسم بالنفس اللوامة، واللوامة ليست من تعطي ذاتها شهادة براءة، لكنها تتوجه باللوم والمحاورة مع الذات. ولا شك في أن هناك شيئاً من الأخطاء عند كثير من الجهات الإسلامية. وعلى المخلصين من كل جهة، الرجوع إلى ما لديهم، والإقرار بما فيهم من الخطأ، والتواصي على نبذه. وليس معنى هذا أن تخرج كل فئة عما هي عليه بالكلية، وإنما عما يتفق عليه أنه خطأ واضح، وفي ظني أن هذه أولى الخطوات للوصول إلى اتفاق.

وفي هذا الجانب، أتمنى لو كان الناس يرجعون إلى رأي ابن رشد، أبي الوليد، في كتابه **فصل المقال في ما بين الشريعة والعقل من الاتصال**، عندما نتحدث عن فلاسفة اليونان ونعرف أنهم وثنيون أو أن أغلبهم وثنيون، فقال: «ينبغي أن ننظر فيما

تركه الأقدمون فما جاء منه موافقاً للحق أخذناهم منهم، وعزوناه إليهم وشركناهم عليه. وما جاء منه مخالفاً للحق رددناه عليهم، ونبهناهم عليه، وعذرناهم فيه». وهنا الشيء الرائع، «عذرناهم عليه»، لماذا؟ لأنهم لم يقصدوا عندما اتخذوا هذا الموقف أن يغشّوا أنفسهم. هم وصلوا إلى هذا اجتهاداً، وإذا وجدتُ فيه الخطأ فينبغي أن أحارب وأخاصم الخطأ في ذاته، أي أن أخاصم و أعادي المرض، ولا أعادي المريض، فالمريض ينبغي عليّ أن أعالجه، وأُعينه على التغلب على مرضه، ولا أعاديه خلال مرضه أو أقتله.

الدكتور مختار إبراهيم عجوبه[1]

شكراً لسعادة الدكتور الشيخ حسن الصفار على هذه المحاضرة القيمة، ومن السعيد جداً أن أستمع إليه مباشرة لأول مرة. لدي بعض الملاحظات والأسئلة، ولعلي أبدأ بما انتهى إليه سعادة المحاضر من أن حماية السلم الاجتماعي تتم بنشر ثقافة الاسلام والتربية الأخلاقية وصلاح ذات البَيْن.

ولعلي أرى في ما توصل إليه المحاضر مسألة نظرية أكثر من أن تكون عملية، في وجود الخلاف الذي أشار إليه من سبقوني في الحديث بين أهل المذهب الواحد، والمذاهب المتعددة.

فكما أشار المحاضر، هناك مجتمعات متجانسة، ولعلّ السعودية قد تكون مثالاً على ذلك، وهناك مجتمعات تتعدد فيها المذاهب، ولكنها اختارت صيغة من التعايش كما ذكر المحاضر. ولعلّ المسألة المهمة كما أشار الدكتور راشد المبارك داخل هذه المجتمعات، وداخل المذهب الواحد، تجد الخلاف خلافاً

(١) أستاذ في قسم الاجتماع ـ كلية الآداب، (جامعة الملك سعود) ـ الرياض.

جوهرياً وأساسياً، يذهب فيه أهل المذهب الواحد إلى تكفير بعضهم البعض.

إضافة إلى ذلك، هناك حركات إسلامية تتسلل إلى السلطة، وتسارع بعض الحركات من داخل المذهب، أو حتى من المذهب المخالف، ربما نتيجة لتقارب المصالح، لحماية ذلك الحاكم أو تلك الدولة، ربما استناداً إلى ما أشار إليه سعادة الدكتور راشد المبارك من أن الوالي الظالم خير من فتنة تدوم، ولا أرى فتنة أكبر من تعاون أهل المذهب الواحد أو المذاهب المختلفة ضد أهل الدولة أو الوطن المختلف، ولنتحدث عن هذا الجانب.

في هذا الإطار، أرى أن الاتجاه لا بد من أن يكون نحو توحيد المذهب الواحد، وتوحيد المذهب المختلفة نحو الأسس الأساسية، ثم يترتب على ذلك ما أشرت إليه في نهاية المحاضرة.

المسألة الثانية: الحديث عن أهل الكتاب ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ و ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾. فبرغم وجود هذه الآيات، هناك دول إسلامية تتوفر فيها مسألة المواطنة ربما تكون مشابهة لما ورد في صحيفة المدينة، تتعدد فيها الأجناس والأديان والأعراق، وهنالك ما يجمع شمل هؤلاء الناس. ولكن هناك حركات إسلامية تنادي بالجهاد ضد مواطنين يحاربون معها في جيش البلد نفسه، ويمتلكون حقوق المواطنة، وأرجو

أن أسمع رأيك حول هذه النقطة.

المسألة الأخرى: ما أشرت إليه حول قول ابن تيمية إن السلم الاجتماعي يدوم مع الاستقامة والعدل أكثر من دوامة مع الظلم. أنا لا أعتقد أن هناك أسوأ من أن يكون هناك حاكم ظالم ونحميه تحت شعار الإسلام، ونهرع إليه لنحميه أو نقوّيه ضد أبناء دولة معينة، ونقول إن ذلك خير من فتنة تدوم، وشكراً جزيلاً.

الأستاذ إبراهيم المطرود

السلام عليكم جميعاً، بعد الشكر الجزيل لسماحة الشيخ حسن الصفار، وللحضور الكرام جميعاً.

على خلاف كل الأخوة الذين تقدموا بالكلام، أوجه كلامي هنا إلى الدكتور راشد المبارك وهو مبارك إن شاء الله، أهمس في أذنه بصوت مسموع وأقول له: «الدال على الخير كفاعله» و «من سّن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ». الحقيقة أشعر بالفخر كثيراً كمواطن، بأنني أعيش في مثل هذا الأجواء. أنا جديد على الرياض، وأشعر بالحبور أن توجد في الرياض هذه الاجواء الرائعة الجميلة حقاً.

سماحة الشيخ حسن الصفار رجل من أعلام المنطقة المسلمين الشيعة، بجانب دكتور آخر من الأعلام المشهورين السّنة، فهذا فخر لنا جميعاً حقيقة، وهذا دلالة حقيقية على السلم والتعايش في وطننا.

ملاحظتي الثانية: عشت في الهند فترة سنتين من الزمن تقريباً، هزني فيها منظران:

المنظر الأول: ما لاحظته في فندق من الفنادق حينما دخلت للسكنى فيه في مدينة مدارس، وجدت أن الصورة المعلقة خلف مكتب الاستقبال هي عبارة عن صورة للكعبة المشرفة وبجانبها صورة للسيد المسيح مصلوباً، وبجانبها صورة للراجنشي أو الباقوان الذي يعتقدون به. وحقيقة، هذه صورة جميلة ومعبرة.

الصورة الثاني في مدينة لكنهو، وهي لمظاهرة سلمية كانت تحمل لوحتين جميلتين، اللوحة الأولى مكتوب عليها: الله، محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، علي، والصورة التي بجانبها مكتوب عليها: الله، محمد، علي، فاطمة، الحسن، الحسين. هذه صورة يكفي ألا أعلق عليها كثيراً، وحينما سألت أحد الأخوة وكان إلى جانبي قال لي: هاتان الصورتان تعبران عن مدى الخطر الذي يحدق بهؤلاء المسلمين. ونحن مسلمون جميعاً، ويكفيني هنا أن الحرّ تكفيه الإشارة.

الملاحظة الثالثة: لكي لا أطيل عليكم، أنا حقيقة من المسلمين الذين يحملون في قلوبهم ولاء لأهل البيت وللصحابة عموماً. أنا رجل احسب على الشيعة، وقد سميت ابني باسم أحد الدكاترة الذين يدرسونني في (جامعة الملك سعود) وهو دكتور سني، سميت ابني باسمه تخليداً لأخلاقه معي، وهذا ما أحببت ذكره. أكرر شكري الجزيل للحضور، وشكري الجزيل أيضاً لسماحة الشيخ حسن الصفار.

الشيخ حسن الصفار

عندي تعقيب على ما ذكره الدكتور عبد الله الحامد حول أنه يحق لكل شخص أو جهة أن ترى الطرف الآخر أنه مبتدع.

ينبغي أن نتفق على تعريف البدعة والابتداع. عرفوا البدعة أنها إدخال ما ليس من الدين في الدين، فحينما يكون الاختلاف في الرأي نتيجة الاختلاف في تفسير النص الديني، هذا لا يقال له إنه إدخال ما ليس من الدين في الدين.

والبدعة والابتداع نوع من التنابز بالألقاب، لا ينبغي أن نجيزه داخل مجتمعنا الإسلامي. نعم، حينما أذهب أنا إلى رأي، أرى أن الرأي الآخر خاطئ، ولكنه لنقل كما ينقل عن الإمام الشافعي على ما أعتقد «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب»، ويتفق المسلمون على الحديث المروي: «إن المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر واحد». وإذا كنت أرى أن الطرف الآخر مبتدع لأنه اختلف معي في مسألة عقدية مثلاً أو فقهية، فهذا لا

يقف عند حدّ لأن الفقهاء يختلفون في المسائل، فإذا كنت أرى من يخالفني الرأي في مسألة من المسائل، مبتدعاً، فهذا أمر لا يصح. إذاً، ينبغي تعريف البدعة والابتداع، خاصة أن كلمتي البدعة والابتداع لهما ظلال، فهناك أحاديث حول التعامل مع المبتدعين من أصحاب البدع، هناك نصوص، هناك روايات، فإذا نحن قبلنا أن نسمي بعضنا البعض مبتدعاً، فمن الطبيعي أن تأتي تلك المترتبات أيضاً على هذا الأمر، فأفضل، أن نتهم بعضنا البعض بالخطأ في الرأي، لا أن نسِمَه بالابتداع وأنه مبتدع وما أشبه.

حول سؤال الدكتور مختار عجوبة عن بعض الحركات الإسلامية، فإن الحركات الإسلامية هي اجتهاد بشري يصيب ويخطئ، ولا يمكن تقديس تصرفات الحركات الإسلامية في أي مكان من العالم، وخاصة من يدخل منها في مجال العمل السياسي، حيث السياسة إغراءات، وفيها ضغوطات، وفيها مزالق. علينا أن نقوّم هذه الأخطاء، وألا يمنعنا التقديس لهذا الشخص أو لتلك الجهة من أن نقف أمام الخطأ، ونعترض عليه. فليس لأنه حركة إسلامية نسكت على أخطائه ومظالمه، فهذا خلاف المعنى الذي وضحه الإسلام من كلمة «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». ننصره إذا كان ظالماً بردعه عن ظلمه، فعلينا أن نقوّم بعضنا البعض، وأن نلفت بعضنا إلى الاخطاء،

وألاّ نتستر أو نجامل بعضنا البعض، وخاصة في الأخطاء التي ترتبط بمصالح الناس ومصالح الأمم والشعوب، أو التي تشوّه سمعة الإسلام، وسمعة المسلمين بشكل عام. أكتفي بهذين التعقيبين، وشكراً للجميع.

الدكتور عبد الله الحامد

لعلّ الشيخ حسن الصفار يأذن لي بإيضاح بسيط في موضوع البدعة. ففي ظني بالنسبة إلى العلماء منذ العصر العباسي صار هناك ترتيب بالنسبة إلى تعريف البدعة، وهي أنها خلاف في مسألة الأصول. فأهل السنة يعتبرون الخوارج والشيعة مبتدعة، وهذا أمر معروف، والشيعة يعتبرون أهل السنة والخوارج مبتدعة وهذا أمر معروف، ثم بعد ذلك لكل منهم اصطلاحاته في التعامل مع المبتدع. ولكن كل فرقنا الإسلامية القديمة في التعامل مع المبتدع جانبت سنن الصواب، ولها تشددات في مسألة التضييق على أهل البدع، وقتل دعاة البدع. وفي ظني أنه خير من ذلك الرجوع إلى ما سلكه علي بن أبي طالب رضي الله عنه في التعامل مع المبتدعة، لكن ألا يُعتبروا مبتدعين في مسألة الأصول. هذا من الصعب، فليست القضية قضية مثل التلفظ بالنية، أو الوضوء من لحم الجزور أو كذا، هذه خلافات في الفروع. أما الخلافات في الأصول فيدخل فيها الابتداع خاصة أنه، مثلاً في أصول السُّنة، يتم الاعتماد على البخاري ومسلم، بينما الشيعة لا يعتمدون عليهما

ولهم أصول أخرى. فليس هناك ضير على أحد من الناس أن يقال إنه مبتدع، أو أن يقول إن فلاناً مبتدع، لكن يبقى مع ذلك لكل منهم حقوقه، فهذا هو البخاري كما ذكر ابن حجر في (مقدمته)، روى عن عدد كبير ممن يعتبرون مبتدعين بينما اعتبرهم ثقات. وأعتقد أن هذا هو الحل، يعني لا نستطيع أن نغيّر من الخلافات في ما بيننا، ولكن ينبغي أن نتعايش ونتعاون باحترام، وهذا هو المطلوب.

الأستاذ عبد الغني الراوي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة من أولها إلى آخرها، تدعو إلى السلم للمسلمين، يعني التجمع والقربة والاقتراب، والفرقة هي الضعف والتخلف.

أنا كعسكري، أمثلتنا واضحة، الولايات المتحدة منذ أكثر من مئتي سنة، منذ حرب الاستقلال لجورج واشنطن إلى حدّ الآن، لم تدخل حرباً داخل الولايات المتحدة، بل كانت حروبها في دول أخرى، فالحرب العالمية الأولى كانت في أوروبا والحرب العالمية الثانية كانت في أوروبا والباسيفيك، ثم جاءت حرب كوريا وحرب فيتنام، وبنما، والشرق الأوسط، كل هذه الحروب كانت الولايات المتحدة خلفها.

الاستقرار والسلم في البلد يعنيان التقدم والنمو والرقي. والفرقة ضعف وتخلف.

---

(١) لواء ركن متقاعد، وزير زراعة سابق في العراق.

العالم الاسلامي متفرق، وأي تجمّع هو قوة. العالم الإسلامي مقبل على إبادة، فنحن كمسلمين نعرف أن (الأعور الدجال) قادم، ونحن إذا لم نلتم ونكوّن قوة فلن نكون قادرين على مقاومته. النصر للإسلام، نعم، لكن يجب أن نتحد ونكون قوة حتى ننتصر في المستقبل، والسلام عليكم.

الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

شكراً لسماحة الأخ الصديق الشيخ حسن الصفار على هذه الكلمات الطيبة، ولا أزيد على ما أثنى به الإخوان. وطلبي الحديث في الحقيقة كان متأخراً لأني أرى أننا إذا أردنا السلم الاجتماعي يجب أن نبدأ من حاضرنا. إذا حاولنا الرجوع إلى التنبيش في التراث، وهذا الإرث البشري المثقل بالآراء الشخصية، والأطماع والأهواء، فلن نصل إلى شيء. فالحكمة أن نبدأ بالسلم الاجتماعي، ونترك ما ورائه لمن خلفه لنا، وندعو لهم كما دعا ابن رشد لمن سبقهم. والخلافات المذهبية ظاهرة بشرية، ستوجد وستبقى، لكن الدعوة التي يتبناها فضيلة الشيخ، وهي السلم الاجتماعي، العدالة، الحقوق المتساوية، المجتمع المتواد والمتحاب، هذا هو ما نريده وما يجب أن يكون.

الأمر الآخر هو ضرورة التربية على هذا، وقد ألمح لها بعض

(١) باحث ومؤلف، أستاذ في قسم اللغة العربية، (جامعة الملك سعود).

الإخوان. مشكلة العالم الإسلامي، ومشكلة بعض المجتمعات، أن هذه المجتمعات لا تُربّى على التسامح، لا في مناهجها، ولا في مجالسها، ولا في اجتماعاتها الخاصة، وتظهر بمظهر نوع من النفاق في المجتمعات العامة، بينما تكون في المجتمعات الخاصة مجتمعات مغلقة طائفية حادّة، وهذا ما نعانيه في مجتمعاتنا العربية مع الأسف الشديد، وهو إرث ثقيل إن لم نتخلص منه فسوف يدفعنا إلى أن نتخلص من أنفسنا.

أخيراً، وهي كلمة ورجاء أن نتعرف إلى بعضنا البعض، وأن تكون أحكامنا أيضاً إذا حكمنا، ولو اضطررنا إلى الحكم، وأرجو ألّا نضطر إليه، بين أصحاب الرأي أنفسهم، وليس بين المؤلفات، وآراء أعدائهم فيهم أو خصومهم، وهذه هي المعضلة الكبرى التي نشأنا عليها منذ الفتنة الأولى إلى يومنا هذا، أنّ الفئة تحكم على الأخرى بما تعرف، أو ترث من تقاليدها، وفقه فقهائها، وتحريض محرضيها، وليس الطرف الآخر، وشكراً.

الدكتور عز الدين موسى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

سعدت كما سعد جميع الأخوة بالاستماع لسماحة الشيخ حسن الصفار ولا أريد أن أثني عليه وشهادتي فيه مجروحة، إذ بيني وبينه اتصال مستمر لا ينقطع، سواء كان بالرسائل أو بالهاتف.

طلبت الكلمة متأخراً وما كنت أود أن أداخل، ولكن شعرت بأن هناك مجالاً في الدلالات التي ينبغي أن نلتمسها في الحديث.

عندما نقول إننا نريد أن نحتكم إلى الحقيقة من الكتاب والسنة، ونستشهد بالتراث فقط، أليس هناك إشكالات في تحديد ما هي الحقيقة نفسها، خاصة في مجال الحديث، لأن القضية هنا قضية أن العلم الإسلامي علم نقلي، والعلم النقلي يعتمد بالدرجة الأولى على توثيق الرجال، وهنا مجال الاختلاف الكبير، ليس

(١) أستاذ التاريخ في (جامعة الملك سعود).

بين الشيعة والسنة، بل حتى داخل السنة وداخل الشيعة أنفسهم.

النقطة الثانية: لماذا لا نريد أن نوحّد الناس؟ هل من الإمكانية في شيء أن يتوحّد الناس أجمعين على شيء واحد؟ من حكمة الخلق أن ربنا خلق الناس مختلفين وسيظلون مختلفين. إذاً القضية ليست بتوحيد الناس. حتى مسألة الدعوة إلى التقريب بين المذاهب هي خطوة إلى توحيد الناس كما أظن، ولكن أعتقد أن القضية قضية تعايش بين المذاهب، وليست تقريباً بينهم، لأن التقريب بينهم نوع من أنواع الاستحالة في نظري، خاصة إذا سلمنا بأن العلم علم نقلي يحتاج إلى توثيق الرجال.

المسألة الثالثة: هي هذه القضية هي قضية الحرية. الحرية مشكلة أساسية والسؤال هنا للشيخ حسن الصفار وأرجو أن يتسع صدره لذلك كما عودنا. أنا من الذين يرون أن مشكلة الفكر الشيعي، أن مرتكزه الأساسي هو مرتكز الوراثة في الحكم والوراثة في العلم، ولذلك قضية ولاية الفقيه تنزل الفكر الشيعي من مجاله الرباني الروحاني لكل البشر. أليس هناك مشكلة أساسية في هذا المجال في تجديد الفكر الشيعي وتصحيحه؟ بالنسبة إلى أهل السنة القضية فيها إشكاليات، ولكن ليست الإشكالية كما هي عند الأخوة الشيعة. وإذا نظرنا إلى التاريخ الإسلامي نجد أن الحكم السني هو الذي كان موجوداً، والمعارضة الأساسية كان ركيزتها الشيعة. فلو كان الشيعة لا يؤمنون بوراثة الحكم، ووراثة العلم،

لاستطعنا أن نطور منهجاً ديموقراطياً شَوْروياً أكثر من المجتمع المسلم. فالسؤال إذاً، المطروح على شيخنا: إلى أي مدى يمكن للفكر الشيعي نفسه أن يستوعب مجال الحرية؟ هذه مسالة أعتقد أنه ينبغي لنا أن نتعاطى معها، وشكراً جزيلاً.

الدكتور عبد العزيز الهلابي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أشكر سماحة الشيخ حسن الصفار، لقد سعدت غاية السعادة بسماع محاضرته القيّمة وما فيها من أفكار. في الواقع وجدت أني أتفق معه تماماً من أولها إلى آخرها، حتى أنني لم أجد مجالاً لتعليق أو إضافة أو استفسار، فكلامه مؤسس على القرآن الكريم، واستند إلى أمثلة من واقعنا المعيش في العالمين العربي والإسلامي، وكل ما تفضل به أتفق معه فيه تماماً. ولعلّ من حسن حظي أني أشتغل في تدريس مادة التاريخ، وربما لم أكن راضياً عن مهنتي وعن وضعي، ولكن في هذا المجال أجد دائماً نوعاً من الرضى بالذات في مجال تدريس التاريخ، وطلابي في هذا المجال يعطونني نوعاً من التطبيق لدعوة التسامح وضرب الأمثلة والنقد، سواء من مسلمي الشيعة أو السنة أو الخوارج على حدّ سواء.

---

(١) أستاذ التاريخ في (جامعة الملك سعود).

ومثلما تفضل الدكتور عز الدين في سؤاله، فحتى نظرية السنة والخلافة لو نقدناها نقداً تاريخياً ربما لا تصمد إلى النقد فلنترك مسألة الحكم جانباً.

أيضاً اتفق مع الدكتور راشد المبارك حيث ينبغي فعلاً أن ننطلق من الواقع وليس من الماضي، فالواقع هو الذي يقربنا. وهذه أول مره أستمع فيها للطرح الفكري من قبل الشيخ حسن الصفار، فقد اجمعت معه مرات عدة، ولكنها كانت لقاءات اجتماعية، وفي الواقع سعدت غاية السعادة، وأؤيده تمام التأييد، وشكراً جزيلاً.

الدكتور راشد المبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

ما كنت أود أن أعود للتعليق، لولا ما سمعته من الأستاذ إبراهيم المطرود، ثم أعقب ذلك ما ألحّ عليه الدكتور عبد الله الحامد، وألحّ عليه الدكتور عز الدين الموسى، فسأبدأ بالاثنين، فلا أدري ما الذي يحمل أخي الدكتور عبد الله الحامد على الإصرار على هذا الأمر الذي سماه البدعة، وأن هذا يبقى وأن ذلك لن يضير. وأخي عبد الله يعرف أن هذه اللفظة لا يمكن أن تنقطع عن ظلالها التاريخية التي التزمت بها، وأنها صارت نبزاً لكل فرد تنسب إليه، ولا أظن أنه يرضى أن يوصف بهذا الوصف. فإذا كان هو لا يرضى أن يوصف بهذا الوصف فكيف يرضى لأخيه الآخر أن يوصف بهذا الوصف؟ وما الضير أن نتجاوز ذلك الوصف إلى ما قاله الأخ الفاضل المتحدث بأنه يمكن أن أقول لهذا الرأي إنه خطأ وإنني لا أثبته أو لا أوافق عليه، وعلى الأخص إذا كان ذلك لا يمس ثابتاً من ثوابت الدين، الذي يجعل من خرج

عنه خارجاً عن الدائرة التي تدخله في الإسلام.

ثم سأل أبو أيمن: لماذا نوحّد الناس، فليس المطلوب أن يكون الناس متساوين كأسنان المشط، ولكن نعني بالتوحيد أن تتوحّد مشاعرهم، فلا نتعادى أو نتصادم. وأما الفهم فقد يختلف الأَخَوان الاثنان في البيت الواحد، لكن المهم عندما ندعو إلى التوحيد ألّا نقصد أن تتوحّد الأفهام، لأن الله لم يرد ذلك ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾، فليس المطلوب أن يتحول الناس إلى نسخة بالكربون بعضهم مثل البعض الآخر.

أعود إلى الأستاذ إبراهيم المطرود وأشكره لنبيل دوافعه وأعرف ذلك، ولكنني أعلمه بأن ليس لراشد المبارك الفضل في ذلك، وإن يكن هناك من فضل فهو لأفراد هذه الندوة الذين عرفوها وألفوها، وأمدوها بعطائهم ووفائهم منذ أن قامت. فلولا فضلهم وعطاؤهم ووفاؤهم لما قامت هذه الندوة فأدامكم الله لها وأدامها لكم.

الشيخ حسن الصفار

إن الكلام الذي تكلم به الإخوان، قسم منه فيه سؤال أو تساؤل، وهو ما تحدث به الدكتور عز الدين الموسى، عن قضية الحرية عند الشيعة. والذي أعرفه من خلال ما درسته من فكر الشيعة وفقههم، أنهما قائمان على أساس الحرية. وحتى حينما بدأت بعض المدارس الفقهية الإسلامية تحظر الاجتهاد واغلقت باب الاجتهاد، كان الشيعة مصرين على فتح باب الاجتهاد. في مجال العقيدة ليس هناك تقليد عندهم كما عند غيرهم، وفي مجال الفقه باب الاجتهاد مفتوح، أما مسألة الإمامة فهي بحث آخر.

فكون الإمامة متسلسلة في أهل البيت، إنما جاء اعتماداً على ما يعتقده الشيعة من وجود نص شرعي. ومجرد كون الإمامة وراثة أو متوارثة فهذا ليس أمراً معيباً، ما دام يستبطن الكفاءة. إذ عندما نقدّس شخصاً لأنه ابن فلان من دون أن يمتلك الكفاءة فهذا خطأ، لكن حينما يكون فلان هو الأكفأ فكونه ابن فلان يعدّ

نقطة قوة إضافية. والأئمة عند الشيعة لا يقدّسون لأن هذا الإمام هو ابن الإمام فلان، وإنما على اعتقاد أن هناك نصاً، وهذا بحث حول عقائد الشيعة لسنا بصدده حيث يعتقدون أن هناك نصاً ويعتقدون أنه الأكفأ.

وعندنا حتى حول الأنبياء، القرآن يتحدث عن وجود عوائل تتوارث النبوة: آل ابراهيم، وآل عمران، وآل نوح، ذرية بعضها من بعض. فوجود حالة توارث أو امتداد لحالة النبوة ضمن عائلة واحدة، ليس شيئاً منافياً ما دام هناك نص يعتقدون به، وما داموا الأكفأ. ولو كان الأمر وراثياً فقط لكان المفروض أن تذهب الإمامة إلى الولد الأكبر، فأغلب الأئمة كان لهم أخوة أكبر منهم ولكنهم لم يكونوا أئمة، وذلك لأن الإمام هو الذي يعيَّن النص وليس كونه الأكبر.

وفي هذا السياق يذكر الشيعة أن الإمام محمد بن علي الجواد حينما كان يدخل على عم أبيه علي بن جعفر الصادق وهو شيخ فقيه كبير في السن، كان الأخير يقوم تقديراً للإمام الجواد واحتراماً له مع أنه كان حينذاك طفلاً صغيراً لا يتجاوز العاشرة من عمره، ومع ذلك يقوم احتراماً له ويعانقه ويقبل يده، فاستغرب بعض الحاضرين وعاتبوه على ذلك فرد عليهم قائلاً: ماذا أصنع إذا لم يرَ الله هذه الشيبة أهلاً لموقع الإمامة.

إذاً، عند الشيعة لا يقدّسون أئمتهم على اعتبار الوراثة وإنما

على اعتبار النص والكفاءة، وهذا ضمن معتقدهم. ويمكن أن يبحث هذا الموضوع وأن تتم المناقشة في هذا المعتقد.

أما حرية الفكر عندهم فهي حرية مكفولة، ويدافعون عنها، وأكبر دليل وجود الآراء المختلفة والمذاهب المتعددة. وإلى زمننا الحاضر هناك آراء للشيعة كثيرة تدل على حرية الفكر عندهم.

وحتى حول مسألة ولاية الفقيه التي أشير إليها، فولاية الفقيه ليست أمراً مجمعاً عليه عند علماء الشيعة، وإنما يراه بعضهم ويخالفه آخرون. ثم في تفاصيل ولاية الفقيه هناك كلام وجدل، والآن هناك في إيران نقاش في هذه المسألة بين المحافظين والإصلاحيين. فضمن الإسلام لا يمكن القبول بإلغاء حرية الفكر، لأن أساس الدين قائم على حرية الفكر: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. ولا يمكن لمذهب من المذاهب أن يقرر إلغاء حرية الفكر. يمكن أن يلتف على المسألة بصورة أو بأخرى، ولكنه كمبدأ لا يمكن التنازل عنه لمن يعيش في ظلال القرآن والسنة.

أكرر شكري لكم جميعاً ولحسن ظنكم أيها الأخوة، وشكري للأخ سعادة الدكتور راشد المبارك على هذه الدعوة الكريمة، وإن شاء الله يستمر هذا التواصل وهذا التلاقي ونستضيفكم عندنا في القطيف في المنطقة الشرقية.

وكلنا بحاجة إلى هذا التواصل، وإلى تدوير الفكر، وإلى النقد المتبادل، لأن أوضاعنا جميعاً، بمختلف مذاهبنا وطوائفنا، بحاجة إلى نقد وتغيير وتصحيح. وأمثال هذه المنتديات التي تعتمد الحوار وحرية الرأي هي أفضل وسيلة لتدوير الآراء وبلورة الحوار. شكراً لكم جميعاً والحمد للّه ربّ العالمين والسلام عليكم.

الدكتور عبد الله الحامد

شكراً لأستاذنا الكريم الأستاذ الشيخ حسن الصفار على هذه المحاضرة المنيرة المثيرة. ولا شك في أن أمثال هذه اللقاءات تتجدد فيها العقول والأفكار، وشكراً لكم على حضوركم جميعاً.

متابعات صحافية

الشرق الأوسط
ASHARQ AL-AWSAT
جريدة العرب الدولية

السلم الاجتماعي.. مقوماته وحمايته

الشيخ حسن الصفار*

السلم كلمة واضحة المعنى، تعبر عن ميل فطري في أعماق كل إنسان، وتحكي رغبة جامحة في أوساط كل مجتمع سوي، وتشكل غاية وهدفاً نبيلاً لجميع الأمم والشعوب. والسلم من السلام وأصله السلامة أي البراءة والعافية والنجاة من العيوب والآفات والأخطار. ويطلق السلم بلغاته الثلاث السلم والسِّلم والصُّلح على ما يقابل حالة الحرب والصراع قال ابن منظور: السلم والسِّلم، الصلح، وتسالموا: تصالحوا، والخيل إذا تسالمت تسابرت لا تهيج بعضها بعضا.

والتسالم: التصالح. والمسالمة: المصالحة. وحكي السلم والسلم: الاستسلام وضد الحرب. وكمثال على إطلاق السلم كحالة مقابلة للحرب والقتال يمكن الاستشهاد بقول عباس بن مرداس:

السلم تأخذ ما رضيت به
والحرب تكفيك من أنفاسها جزع

وتقول العرب: أسلم أم حرب، أي أنت مسالم أم محارب. قد يكون الحديث عن السلم أو الحرب على صعيد علاقة المجتمع بمجتمعات أخرى. أو يكون على مستوى الوضع الداخلي للمجتمع والعلاقات القائمة بين أجزائه وفئاته. فهناك مجتمع يعيش حالة احتراب وصراع داخلي، ومجتمع تسوده أجواء الوئام والانسجام والوفاق. وحديثنا عن السلم الاجتماعي نقصد به حالة السلم والوئام داخل المجتمع نفسه وفي العلاقة بين شرائحه وقواه. أن من أهم المقاييس الأساسية لتقويم أي مجتمع، هو تشخيص حالة العلاقات الداخلية فيه، فسلامتها علامة على صحة المجتمع وامكانية نهوضه، بينما اهترازها دلالة سوء وتخلف.

يقول المفكر مالك بن نبي: نستطيع أن نقرر ان شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده. ومن اجل ذلك كان أول عمل قام به المجتمع الاسلامي هو الميثاق الذي يربط بين الانصار والمهاجرين. ثم يشير بن نبي الى انه كما كانت العلاقات الداخلية السلمية هي نقطة الانطلاق في تاريخ المسلمين، فإن تدهورها كان مؤشر السقوط والإنحطاط. لقد كان المجتمع الاسلامي ابان افوله غنياً، ولكن شبكة علاقاته الاجتماعية قد تمزقت. وهكذا الأمر دائما، فإذا تطور مجتمع ما على اية صورة، فإن هذا التطور مسجل كما وكيفاً في شبكة علاقاته.. وعندما يرتخي التوتر في خيوط الشبكة، فتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعالة، فذلك امارة على أن المجتمع مريض، وانه ماض الى النهاية. أما اذا تفككت الشبكة نهائياً، فذلك إيذان بهلاك المجتمع وحينئذ لا يبقى منه غير ذكرى مدفونة في كتب التاريخ. ولقد تحين هذه النهاية والمجتمع متخم بالأشخاص والأفكار والأشياء. كما كانت حال المجتمع الاسلامي في الشرق، في نهاية العصر العباسي، وفي المغرب في نهاية عصر الموحدين. جاء الإسلام دعوة للسلم والسلام على مستوى العالم اجمع والبشرية جمعاء (والله يدعو الى دار السلام) وقد تكرر الحديث عن السلم والسلام في اكثر من خمسين اية في القران الكريم. يقول تعالى: (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام). ويقرر القران الكريم أن المبدأ الأساس في العلاقات بين البشر هو مبدأ السلم والتعاون يقول تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم). كما يوجه الاسلام الأمة المسلمة الى انشاء العلاقات السلمية القائمة على البر والقسط والاحسان مع الأمم الاخرى، أما المواجهة فهي محصورة في حدود من يمارس العدوان ضد الاسلام

(١) الشرق الأوسط، الجمعة ٢٣ ربيع الأول ١٤٢٢هـ، العدد ٨٢٣٥.

والمسلمين، او يمنع حركة الدعوة الى الله تعالى، يقول تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين). ويقول تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) وحتى لو نشبت الحرب والمعركة مع المعادين المعتدين فإن الاسلام يشجع على اغتنام اي فرصة لايقاف الحرب والقتال اذا ما اظهر الطرف الآخر ارادته في التراجع عن عدوانه والرغبة في اقامة علاقات سلمية. يقول تعالى: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله).

ويقول تعالى: (فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا). ويقول الامام علي (عليه السلام) في عهده لمالك الاشتر: «ولا تدفعن صلحاً دعاك اليه عدوك ولله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمنا لبلادك».

السلم الداخلي

وإذا كانت هذه دعوة الاسلام على المستوى العالمي وفي العلاقة بين الأمة وسواها، فمن الطبيعي ان تكون اكثر تأكيدا والحاحا على الصعيد الداخلي. لذلك تناولت العديد من ايات القرآن الكريم وتشريعات الاسلام قضية الوحدة والوئام والسلم ضمن الكيان الإسلامي.

يقول تعالى: (إن هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) ويقول تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) وفي اشارة واضحة الى الآثار التدميرية للنزاع الداخلي يقول تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين). فنتيجة النزاع الفشل وانهيار القوة. اما الآية الكريمة رقم 208 من سورة البقرة فهي امر واضح ودعوة صريحة للالتزام بالسلم الاجتماعي، وتقرير له كشعار للمجتمع، وتحذير من الانزلاق عن مساره. يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)

ورغم ان اكثر المفسرين قالوا بأن المقصود من السلم في الآية الكريمة هو الإسلام والطاعة لله، الا ان بعض المفسرين رجح ان يكون المقصود هو السلم بمعناه اللغوي أي الصلح والسلمة وترك النزاع والاحتراب داخل المجتمع. وهو الرأي الراجح بالفعل. ونقتطف من كلام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير حول هذه الآية الكريمة الفقرات التالية:

حقيقة السلم الصلح وترك الحرب. وقالوا يطلق السلم بلغاته الثلاث (السلم، السلم، السلم) على دين الاسلام ونسب الى ابن عباس ومجاهد وقتادة وانشدوا قول امرئ القيس بن عابس الكندي في قضية ردة قومه:

دعوت عشيرتي للسلم لما
رأيتهموا تولوا مدبرينا
فلست مبدلا بالله ربا
ولا مستبدلا بالسلم دينا

وهذا الاطلاق انفرد بذكره اصحاب التفسير ولم يذكره الراغب في مفردات القرآن ولا الزمخشري في الأساس وصاحب لسان العرب وذكره القاموس تبعا للمفسرين، وذكره الزمخشري في الكشاف حكاية قول في تفسير السلم هنا فهو اطلاق غير موثوق بثبوته، وبيت الكندي يحتمل معنى المسالمة أي المسالمة للمسلمين ويكون قوله (دينا) بمعنى العادة اللازمة كما قال المثقب العبدي يذكر ناقته:

تقول وقد درأت لها وضيني
أهذا دينه أبدا وديني

والوضين: بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير، أراد أنه سريع الحركة فكون السلم من أسماء الصلح لا خلاف فيه بين ائمة اللغة فهو مراد من الآية لا محالة وكونه يطلق على الإسلام اذا صح ذلك جاز ان يكون مرادا ايضاً ويكون من استعمال المشترك في معنييه. ويجوز ان يكون المراد من السلم هنا المعنى الحقيقي ويراد السلم بين المسلمين بأمرهم الله تعالى بعد ان اتصفوا بالايمان بأن لا يكونوا بعضهم حرباً لبعض كما كانوا عليه في الجاهلية.

وممن رجح هذا الراي الشيخ محمد جواد مغنية من علماء الإمامية. قال في التفسير الكاشف: قيل المراد بالسلم هنا الإسلام. وقيل: معنى السلم الصلح، والمعنى ادخلوا في الصلح جميعاً. والذي نراه ان الله سبحانه وتعالى أمر من يؤمن به ايماناً صحيحاً ان يدخل في ما فيه سلامته في الدنيا والآخرة، وطريق السلامة معلوم لدى الجميع، وهو التعاون والتآلف، وترك الحروب والخصام. ويزيد هذا المعنى قوله تعالى: (ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) بعد قوله بلا فاصل (ادخلوا في السلم كافة) حيث اعتبر الله سبحانه خطوات الشيطان الطريق المضاد للسلم، ووضع الإنسان أمام أمرين لا ثالث لهما: إما الدخول في السلم، وإما اتباع خطوات

الشيطان التي هي عين الشقاق والنزاع والشر والفساد.

واخيراً: فإن صفاء اجواء المجتمع من العداوات والصراعات، يجعله مهيئاً للتعاون والانطلاق، ويحفظ قوته من الهدر والضياع. لذلك كان من الطبيعي ان تسعى القوى المناوئة لاي مجتمع من اجل تمزيق وحدته واثارة العداوات بين فئاته، يقول تعالى: (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء).

مقومات السلم الاجتماعي

- العدل والمساواة: المجتمع الذي يتساوى الناس فيه أمام القانون، وينال كل ذي حق حقه، ولا تمييز فيه لفئة على اخرى، هذا المجتمع تقل فيه دوافع العدوان، وأسباب الخصومة والنزاع.

ويصور لنا الحديث الذي أورده البخاري في صحيحه تحت رقم 2587 مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه واله وصحبه وسلم بتربية أصحابه على التزام العدل والمساواة بين أولادهم حتى لا يكون التمييز بين الأبناء، سبباً للعداوة والضغائن في ما بينهم.

يقول الإمام علي (عليه السلام) مخاطباً أحد ولاته: «استعمل العدل واحذر العسف والحيف، فإن العسف يعود بالجلاء، والحيف يدعو إلى السيف». وهكذا فإن العدل يقي المجتمع اخطار التمزق والفتن، وجميل جداً ما رواه المجلسي في بحار الأنوار في الجزء 74 والصفحة 163 منسوباً إلى رسول الله صلى الله عليه وال وصحبه وسلم أنه قال: «العدل جنة واقية وجنة باقية». فالعدل في الدنيا وقاية من الأخطار، وفي الآخرة نعيم وثواب في جنان الخلد.

- ضمان الحقوق والمصالح المشروعة لفئات المجتمع: فإذا كان المجتمع يعيش نوعاً من التنوع والتعدد، في انتماءاته العرقية او الدينية او المذهبية أو ما شاكل ذلك من التصنيفات، فيجب أن يشعر الجميع وخاصة الأقليات بضمان حقوقها، ومصالحها المشروعة، في ظل النظام والقانون ومن خلال التعامل الاجتماعي

وفي حديث آخر: «من ظلم معاهداً، او انتقصه حقاً، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة» (رواه أبو داود والبيهقي). هكذا يرعى الإسلام حقوق ومصالح من ينتمي إلى دين آخر ويعيش في كنف المجتمع الإسلامي.

أما عن التعامل مع فئة من المسلمين لها مذهب أو مسلك مخالف، ففي سيرة الإمام علي (عليه السلام) مثل إنساني حضاري رائع، حيث كان حريصاً على حماية حقوق ومصالح مناوئيه من الخوارج، مع ما أظهروه من معتقدات مخالفة لما عليه جمهور الأمة، كاعتبارهم مرتكبي كبائر الذنوب كفاراً، مخلدين في نار جهنم، وكتكفيرهم بعض الصحابة كعثمان وعلي وطلحة والزبير، واصحاب الجمل، والحكمين ومن رضي بحكمهما وكاستحلالهم دماء المسلمين وأموالهم، إلا من خرج معهم، ومع ما ورد من أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه واله وصحبه وسلم في ذمهم وأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لكن الإمام علياً وهو الخليفة الحاكم نهى اصحابه أن يبسطوا على الخوارج حتى يحدثوا حدثاً. كما في مصنف ابن أبي شيبة صفحة 308 ج 15 حديث رقم (19739). وجاء تحت رقم (19762) عن عبد الله بن الحارث عن رجل من بني نضر بن معاوية قال: كنا عند علي فذكروا أهل النهر فسبهم رجل فقال علي: «لا تسبوهم، ولكن إن خرجوا على إمام عادل فقاتلوهم وإن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلوهم فان لهم بذلك مقالاً». كما تكشف هذه المواقف عن عظمة نفس الإمام علي (عليه السلام)، وسيطرته الكاملة على عواطفه وانفعالاته، وإلا فأي حاكم في مكانه غالباً ما يندفع للانتقام من المناوئين الصلفين، وخاصة في مثل انحراف الخوارج وطيشهم. بهذه المقومات يتجذر السلم في المجتمع، وتوصد أبواب الفتن والنزاع، وإذا حصلت بادرة من بوادر الشر أمكن تطويقها ومحاصرتها، وهب الجميع لمقاومتها.

---

* ملخص كلمة القاها في ديوانية الدكتور راشد المبارك بالرياض

الوطن
AL-WATAN
الوطن العدد (227) السنة الأولى - الاثنين 20 صفر 1422هـ الموافق 14 مايو 2001م 25

حسن الصفار متحدثاً عن السلم الاجتماعي و مقوماته :

إذا عانت بعض فئات المجتمع من الحرمان والتمييز فإن ما يظهر من استقرار زائف لا يلبث أن ينكشف عن فتن واضطرابات مدمرة

إذا كان المجتمع يعيش نوعا من التنوع في انتماءاته العرقية والدينية فيجب أن يشعر الجميع وخاصة الأقليات بضمان حقوقهم ومصالحهم المشروعة

الأحساء : علي الموسى

تحت عنوان (السلم الاجتماعي مقوماته وحمايته) تحدث الشيخ حسن الصفار في أحدية الدكتور راشد المبارك في الرياض بحضور جمع كبير من المفكرين والمثقفين والمهتمين بالشأن العلمي والأدبي.

وقد أشار المحاضر في بداية محاضرته إلى أن تحقق السلم الاجتماعي عامل أساس لتوفير الأمن والاستقرار في المجتمع، وإذا ما فقدت حالة السلم والوئام الداخلي أو ضعفت، فإن النتيجة الطبيعية لذلك هي تدهور الأمن وزعزعة الاستقرار، حيث تسود حالة الخصام والاحتراب، فيسعى كل طرف لإيقاع أكبر قدر من الأذى والضرر بالطرف الآخر، وتضيع الحدود، وتنتهك الحرمات، وتدمّر المصالح العامة، حين تشعر كل جهة أنها مهددة في وجودها ومصالحها، فتندفع باتجاه البطش والانتقام وإحراز أكبر مساحة من السيطرة والغلبة. وذكر الصفار اختلاف الأوضاع والظروف في البلدان التي ابتليت بفقدان السلم الاجتماعي والوقوع في فخ الاحتراب والتناحر نظراً لاختلاف البلدان ما بين بلد فقير وآخر غني، وبلد آسيوي وآخر أفريقي، وبلد تتنوع فيه الأعراق، وآخر ينتمي مواطنوه إلى عرق واحد وقومية واحدة، وبلد تتعدد فيه الأديان والمذاهب وآخر يسوده دين

(١) الأحساء: علي الموسى، صحيفة الوطن السعودية، العدد ٢٢٧، السنة الأولى، الاثنين ٢٠ صفر ١٤٢٢هـ الموافق ١٤ أيار/ مايو ٢٠٠١م

الوطن - العدد (2277) السنة الأولى - الاثنين 20 صفر 1422هـ الموافق 14 مايو 2001م 25

واحد ومذهب واحد وهكذا مما يعني أن الخطر قد يدهم أي مجتمع لا يمتلك المناعة الكافية، ولا يتسلح بقوة السلم الاجتماعي المتين.

وبين الصفار أنه تكرر الحديث عن السلم والسلام في أكثر من خمسين آية في القرآن الكريم ،موضحاً أن الإسلام يوجه الأمة المسلمة إلى إنشاء العلاقات السلمية القائمة على البر والقسط والإحسان مع الأمم الأخرى، أما المواجهة فهي محصورة في حدود من يمارس العدوان ضد الإسلام والمسلمين، أو يمنع حركة الدعوة إلى الله تعالى، وحتى لو نشبت الحرب والمعركة مع المعادين المعتدين فإن الإسلام يشجع على اغتنام أي فرصة لإيقاف الحرب والقتال إذا ما أظهر الطرف الآخر إرادته في التراجع عن عدوانه والرغبة في إقامة علاقات سلمية.

و أكد الصفار أنه إذا كانت هذه دعوة الإسلام على المستوى العالمي وفي العلاقة بين الأمة وسواها، فمن الطبيعي أن تكون أكثر تأكيداً وإلحاحاً على الصعيد الداخلي. لذلك تناولت العديد من آيات القرآن الكريم وتشريعات الإسلام قضية الوحدة والوئام والسلم ضمن الكيان الإسلامي. مبيناً أن قوله تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) أمر واضح ودعوة صريحة للالتزام بالسلم الاجتماعي، وتقرير له كشعار للمجتمع، وتحذير من الانزلاق عن مساره، وأن صفاء أجواء المجتمع من العداوات والصراعات، يجعله مهيئاً للتعاون والانطلاق، ويحفظ قوته من الهدر والضياع، لذلك كان من الطبيعي أن تسعى القوى المناوئة لأي مجتمع من أجل تمزيق وحدته وإثارة العداوات بين فئاته، يقول تعالى:(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ) وأوضح الشيخ حسن الصفار أن من أهم مقومات السلم الاجتماعي السلطة والنظام،حيث لا يستغني أي مجتمع بشري عن سلطة حاكمة ونظام سائد، يتحمل إدارة شؤون المجتمع، وتعمل القوى المختلفة تحت سقف هيبته. وإلا كان البديل هو الفوضى، وتصارع القوى والإرادات.

الوطن - العدد (227) السنة الأولى - الاثنين 20 صفر 1422هـ الموافق 14 مايو 2001م

مبيناً أنه كان من سمات حياة العرب في الجزيرة العربية قبل الإسلام، غياب السلطة المركزية، حيث كانوا يعيشون وضعاً قبلياً تسوده النزاعات، وتكثر فيه الحروب، ولا يخضع لنظام أو قانون، إلا بعض التقاليد والأعراف التي لا تصمد أمام نوازع الشر، وغرور القوة. وبسبب ذلك لم يكن لهم كيان ولا شأن بين الأمم، وحينما جاء الإسلام استوعب تلك القبائل المتناحرة، ووحدها تحت لوائه، وصنع منها أمة متماسكة لم تلبث أن أخذت بأزمة قيادة العالم. وأشار المحاضر إلى أن من مقومات السلم الاجتماعي العدل والمساواة فالمجتمع الذي يتساوى الناس فيه أمام القانون، وينال كل ذي حق حقه، ولا تمييز فيه لفئة على أخرى، هذا المجتمع تقل فيه دوافع العدوان، وأسباب الخصومة والنزاع، أما إذا ضعف سلطان العدالة، وحدثت ممارسات الظلم والجور، وعانى البعض من الحرمان والتمييز، وأتيحت الفرصة لاستقواء طرف على آخر بغير حق. فهنا لا يمكن التوفر على سلم اجتماعي، وحتى لو بدت أمور المجتمع هادئة مستقرة، فإنه استقرار كاذب، وهدوء زائف، لا يلبث أن ينكشف عن فتن واضطرابات مدمرة. من هنا جاء تأكيد الإسلام على ضرورة العدل وأهميته في حياة البشر، واعتبره هدفاً أساساً لبعثة الأنبياء وإنزال الشرائع.

وأكد الصفار على أن المجتمع هو عائلة كبيرة، وعدم المساواة بين أبنائه، وتمييز بعضهم على البعض الآخر، جور يزرع الضغائن والأحقاد، ويضعف حالة المودة والإخاء. موضحاً أن الطرف الذي يحظى بالامتيازات يشعر بالحصانة والعلو تجاه سائر الأطراف، مما قد يدفعه للطغيان والعدوان، كما أن الطرف الذي يقع عليه التمييز يشعر بالغبن والاضطهاد، فيضعف ولاؤه لمجتمعه ووطنه، ويتحيّن الفرصة للانتقام وإعادة الاعتبار، وقد يفتش عن جهات داخلية أو خارجية يستقوي بها، مما يخلق ثغرة في أمن المجتمع والوطن، تنفذ منها مؤامرات الأعداء ودسائسهم كما ذكر المحاضر أن من مقومات السلم الاجتماعي أيضاً. ضمان الحقوق والمصالح المشروعة لفئات

الوطن - العدد (227) السنة الأولى - الاثنين 20 صفر 1422هـ الموافق 14 مايو 2001م 25

المجتمع فإذا كان المجتمع يعيش نوعًا من التنوع والتعدد، في انتماءاته العرقية أو الدينية أو المذهبية، أو ما شاكل ذلك من التصنيفات، فيجب أن يشعر الجميع وخاصة الأقليات بضمان حقوقها، ومصالحها المشروعة، في ظل النظام والقانون ومن خلال التعامل الاجتماعي. وهذا وإن كان متفرّعاً عن موضوع العدالة والمساواة، لكن أهميته تقتضي التركيز عليه. فعلماء الاجتماع يصنفون المجتمعات من حيث درجة تنوعها وانسجامها إلى ثلاثة أصناف: 1- المجتمع المتجانس ولا يوجد في العالم مجتمع واحد متجانس كليًا وبشكل مطلق وإنما يقصدون به التجانس النسبي وليس المطلق، وهو الذي يتكون من جماعة واحدة منصهرة اجتماعيًا وثقافيًا، فتتوحد الهوية الخاصة والعامة في هوية واحدة جامعة وتسود في هذا المجتمع عملية الانصهار. 2- المجتمع الفسيفسائي وهو الذي يتألف من عدة جماعات تغلب هويتها الخاصة على الهوية العامة، وتتصف العلاقات فيما بينها بالتراوح بين عمليتي التعايش والنزاع وعدم الاتفاق على الأسس. 3- المجتمع التعددي وهو الذي

حسن الصفار

يتشكل من عدة جماعات تحتفظ بهويتها الخاصة ولكنها تمكنت من إيجاد صيغة تؤلف بين الهوية الخاصة والهوية العامة، لكنها قد تتعرض لهزات بسبب تدخل خارجي أو تسلط لجهة داخلية على حساب أخرى.

فمع وجود التنوع والتعدد في المجتمع، لا بد من ضمان الحقوق والمصالح المشروعة للجميع، ليعيش الجميع في إطار المصلحة المشتركة، وفي بوتقة الوطن الواحد. ومبادئ الإسلام وشرائعه العظيمة تقدم النموذج

الوطن - العدد (227) السنة الأولى - الاثنين 20 صفر 1422هـ الموافق 14 مايو 2001م

الأرقى للتعايش بين الناس على اختلاف هوياتهم وانتماءاتهم، على أساس العدل والمساواة، وضمان الحقوق والمصالح المشروعة للجميع.

وختم الصفار محاضرته بقوله :أما عن التعامل مع فئة من المسلمين لها مذهب أو مسلك مخالف، ففي سيرة الإمام علي مثل إنساني حضاري رائع، حيث كان حريصا على حماية حقوق و مصالح مناوئيه من الخوارج، مع ما أظهروه من معتقدات مخالفة لما عليه جمهور الأمة. بهذه المقومات يتجذّر السلم في المجتمع، وتوصد أبواب الفتن والنزاع، وإذا حصلت بادرة من بوادر الشر أمكن تطويقها ومحاصرتها، وهبّ الجميع لمقاومتها.

وقد أعرب المداخلون عقب المحاضرة عن ارتياحهم وتقديرهم للأفكار التي قدمها الصفار في محاضرته والتي تدعو إلى توثيق عرى الوحدة بين أبناء الأمة والوطن، وتجنب مزالق الفتن والصراعات، التي تستهلك الجهود، وتوجب الخلل والضعف في استقرار المجتمع وأمنه، وتعرقل مسار التنمية والتقدم. كما دارت الحوارات حول سبل ووسائل تجاوز الخلافات المذهبية والطائفية، وحول بعض المؤاخذات والشائعات حول هذا المذهب أو ذاك، حيث أكدّ الصفار والأساتذة المشاركون على ضرورة تجاوز هذه الإثارات التحريضية، واستبدالها بالحوار الموضوعي البناء، من أجل مزيد من الفهم والتفاهم، وأن يتم التركيز على هموم الحاضر وتطلعات المستقبل بدل الاستغراق في مشاكل الماضي.

الوطن
AL-WATAN

السلم الاجتماعي...
الحوار والتقريب بين المذاهب

في صحيفة "الوطن" في عددها رقم 227 يوم الاثنين 2 صفر 1422هـ الموافق 2000/5/14م ونقلا من أحدية الدكتور راشد المبارك نقلت الصحيفة حديث الشيخ العلامة حسن الصفار وكان هذا الحديث بعنوان (السلم الاجتماعي) والشيخ الصفار على قدر عال من الثقافة والحسن الوطني يقول الشيخ الصفار (إن من مقومات السلم الاجتماعي العدل والمساواة فالمجتمع الذي يساوي الناس فيه أمام القانون، ولا تمييز فيه لفئة على أخرى، هذا المجتمع تقل فيه دوافع العدوان، وأسباب الخصومة والنزاع، أما إذا ضعف سلطان العدل وحدثت ممارسات الظلم والجور والتمييز، وأتيحت الفرصة لاستقواء طرف آخر بغير حق فهنا لا يمكن التوفر على سلم اجتماعي، وحتى لو بدت أمور المجتمع هادئة مستقرة، فإنه استمرار كاذب وهدوء زائف، لا يلبث أن ينكشف عن فتن واضرابات مدمرة من هنا جاء تأكيد الإسلام على ضرورة العدل وأهميته في حالة البشر، واعتبره هدفاً أساساً لبعثة الأنبياء وإنزال الشرائع) انتهي كلام الشيخ حسن الصفار. وأنا أضم صوتي إلي صوت فضيلته وأورد أمثلة حية لانعدام السلم الاجتماعي بسبب تغلب فئة على أخرى أو ظلم فئة لأخرى فخلال العشر سنوات الماضية حدثت حربان إقليميتان واحدة في البوسنة والهرسك بسبب تسلط الصرب النصارى على البوسنة والهرسك المسلمين والأخرى بين الصرب النصارى وأهل كوسوفو الألبان المسلمين وهناك حرب مازالت. دائرة بين الشيشان المسلمين والروس النصارى وسبب اتخاذ هذه الأمثلة

(١) د. عبد العزيز تركي العطيشان، صحيفة الوطن السعودية، العدد ٢٥٥، السنة الأولى، الاثنين ١٩ ربيع الأول ١٤٢٢هـ الموافق ١١ حزيران/ يونيو ٢٠٠١م.

الثلاثة يعود إلى السلم الاجتماعي في عهود الشيوعية في هذه البلدان حيث إن الشيوعية لا تؤمن بالأديان فبذلك فهي لا تفرق بين الطوائف وحدثت هذه الحروب بعد انحسار الشيوعية من هذه البلدان ورجعت موجة الكراهية والاضطهاد من فئة ضد الأخرى ولنا في ما يجرى في إيرلندا الشمالية بين الكاثوليك والبروتستانت من تفجيرات وقتل وكذلك ما يجري في جنوب الفلبين ما بين الأقلية المسلمة والأكثرية النصرانية وكذلك ما يجري من قتل واغتصاب وهتك للأعراض والأموال والأنفس ما بين قبيلتي التوتسو والهوتسو في إفريقيا.

وعلينا في بلادنا الحبيبة بصفة خاصة وجميع بلاد المسلمين بصفة عامة التقريب ما بين المذاهب واللجوء إلى الحجة والبينة وإظهار ما هو حق وطمس ما هو باطل وعلينا الاقتداء بقوله سبحانه وتعالى (وهو يخاطب نبيه ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين.. الآية).

فأرى أنه حان الأوان لنناقش الفروقات العقائدية ما بين السنة والشيعة على أن يتولى دفة النقاش علماء أجلاء من الطرفين مع وضع الضوابط والقوانين لهذه المناقشة بحيث لا تنقلب إلى مشاجرة وتخاصم فإن لم نستطع أن نلتقي فعلى أقل تقدير لا نبتعد أكثر وأكثر ولنا في قصص المنافقين في القرآن والسنة النبوية وكذلك المؤلفة قلوبهم أكبر دليل على حث الإسلام على الاجتماع ونبذ الفرقة فالقرآن أعطى

المؤلفة قلوبهم من مال المسلمين لتأليف قلوبهم على الاسم ولم يشأ النبي صلى الله عليه وسلم أن يفضح المنافقين ويعلن أسماءهم وهو الذي يعرفهم صلى الله عليه وسلم واحداً واحداً عندما أسر لأحد أصحابه بأسماء المنافقين في المدينة فلما سأل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - هذا الصحابي إن كان (عمر) ممن ذكرهم صلى الله عليه وسلم من المنافقين وبعد تردد من الصحابي حذيفة بن اليمان الجليل لعدم رغبته في إفشاء سر النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر أنت لست فيهم ولا تسأل أكثر من ذلك) والمنافقون هم الذين قال عنهم الله سبحانه وتعالى "هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقن لا يفقهون يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون" وانتهت أزمة المنافقين في المدينة وقوى الإسلام وانتشر في ربوع الأرض بسبب حكمة الله سبحانه وتعالى ثم حكمة رسوله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلتحقيق السلم الاجتماعي الذي يطالب به الشيخ حسن الصفار علينا أن نبدأ الآن بتحقيق العدالة الاجتماعية ولا يمنع من تحقيق العدالة أن نبدأ بالحوار البناء الذي يؤلف ولا يشتت ويقوي ولا يضعف ويبني ولا يهدم علينا أن نؤمن بالمحاورة البناءة التي ستحقق لنا بمشيئة الله السلم الاجتماعي الذي نتوخاه.

د. عبدالعزيز تركي العطيشان
(مدير عام الأشغال العسكرية الأسبق)